شهادات تاريخية عن انطلاقة الثورة الفلسطينية

توثيق وتحرير وإعداد: يحيى يخلف

يتضمن هذا الملف ثلاث شهادات أساسية تضيء على بدايات انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة لكل من :

- شهادة الأخ عادل عبدالكريم – أحد القادة التاريخيين الذي ساهموا في تأسيس حركة فتح، وكان في الخلية الأولى، ومارس دورا هاما في حياتها الداخلية من عام ١٩٥٩ وحتى عام ١٩٦٦

- شهادة الأخت انتصار الوزير(أم جهاد)، من أوائل النساء اللواتي ساهمن في مرحلة البدايات، ورافقت الخطوات الأولى لتأسيس الحركة، وللانطلاقة وكانت شريكة درب ومسيرة أمير الشهداء خليل الوزير(أبو جهاد)، وتبوأت مراكز قيادية، وانتخبت في المؤتمر الخامس لحركة فتح عضوا في اللجنة المركزية.

- شهادة الأخ عبد الحميد القدسي، من الكوادر التاريخية لحركة فتح عن مرافقته للقائد الرمز ياسر عرفات في دورية عسكرية دخلت الأرض المحتلة بعد نكسة حزيران عام١٩٦٧ وكان دخول الزعيم عرفات يهدف إلى بناء القواعد الإرتكازية، وتهيئة التنظيم وإجراء الترتيبات للإنطلاقة الثانية للثورة الفلسطينية من داخل الأرض المحتلة وتصعيد النضال ردا على هزيمة الأنظمة عام ١٩٦٧.

شهادة الأخ عادل عبد الكريم

عام ١٩٥٥ عملت مدرساً في ثانوية صفد بدمشق، وكان معي محمود فلاحة، وفي تلك الفترة تعرفت على د.عبد الكريم الأسعد الذي علمني عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ في حيفا، وكان لي أصدقاء عديدون، منهم عبدالله الدنان، وعمر حسني عمر، ومحمود حنونه، وكنّا ونحن أصدقاء في المرحلة الثانوية نفكر بإصدار مجلة تعنى بشؤون فلسطين.

د.عبد الكريم الأسعد الذي علمني النحو في حيفا، وجاء ليعيش في دمشق أصبح صديقاً حميماً لنا، وكان شخصية وطنية تأثرنا بها.

عام ١٩٥٦ ذهبت للعمل في الكويت في مجال التعليم، وسافر د.عبد الكريم الأسعد للعمل في السعودية.

عام ١٩٥٨ وفي العطلة الصيفية، جئت إلى دمشق، وعاد أيضاً د.عبد الكريم من السعودية إلى دمشق، وصرنا نلتقي ونتحدث في الهمّ الوطني الفلسطيني، وخاصة فكرة إصدار مجلة تعنى بفلسطين وهمومها.

ذات يوم، وكنت أزور د.عبد الكريم، قال لي: عندي موعد مع شخص ناشط سياسي وهو فلسطيني معروف واسمه ياسر عرفات، كان مع وفد فلسطيني ذهب إلى العراق للتهنئة بقيام الثورة هناك، وسيكون معه شخص اسمه علي ناصر ياسين (أبوناصر).

ذهبت معه للالتقاء بعرفات وعلي ناصر ياسين في أحد الفنادق، فوجدناه ولم نجد معه علي ناصر ياسين. ويومها تحدثنا في الثورة العراقية، وتحدثنا عن فلسطين، وكان يتحدث كالزعماء ويبالغ في إبراز أهميته من خلال علاقاته الواسعة. يومها تحدثت معه حول إصدار مجلة فلسطينية، وطلبت منه أن يحصل لنا على إذن بإصدارها من القاهرة لأننا لم نستطع إصدارها من دمشق، فابدى حماساً لها واستعداداً، وقلنا له أننا سنتحمل مصاريفها، وانتهى اللقاء دون أن نأخذ عنوانه أو رقم هاتفه.

عُدت بعد انتهاء الإجازة إلى الكويت حيث وجدت نفسي منقولاً من المدرسة التي أدرس بها في الفحاحيل إلى الكلية الصناعية، أي أنني ترقيت.

في آخر شهر اكتوبر أو أوائل نوفمبر من عام ١٩٥٨ جاءني فجأة وزارني ياسر عرفات (عرفت فيما بعد أنه أخذ عنواني من د.عبد الكريم)، ودار حديث بيننا حول موضوع المجلة، فأجابني بأن المصريين لم يوافقوا، ثم غيّر الحديث، وقال لي: يجب أن نعمل ثورة مثل الثورة الجزائرية.

أعجبتني الفكرة، وتناقشنا طويلاً في الموضوع، وفي النهاية اتفقنا على تشكيل مجموعة لبدء العمل. وخلصنا إلى عقد اجتماع قريب يحضره اثنان من طرفه، واثنان من طرفي، ثم نختار اثنين من دمشق.

وفي اللقاء الأول حضر مع ياسر عرفات خليل الوزير(أبو جهاد) ويوسف عميره. وأنا احضرت معي صديقيْ عمر حسني عمر، ومحمود حنونه.

وبدأنا نقاش فكرة الثورة الفلسطينية، وكيف نؤسسها. وبعد الاجتماع اتفقنا على استمرار الاجتماعات التحضيرية، وكنا نلتقي مرة كل اسبوعين في بيت عمر حسني عمر بالفحاحيل.

واتفقنا على اختيار اثنين من دمشق هما عبدالله الدّنان، وعبد الكريم عبد الرحيم(وهو من بلدة العبّاسية).

وخلال فترة الاجتماعات التحضيرية انسحب محمود حنونه لأنه كان عضواً ملتزماً بحزب البعث، وقال أنه كعضو ملتزم يتعين عليه أن يبلغ حزبه، ولأنه من الناحية الأخلاقية لا يريد أن يخدعنا، فإنه يقدم استقالته، ولا مانع لديه من أن يكون نصيراً.

استقال حنونه، فأتيت بصديق لي اسمه توفيق شديد (وهو ابن عم علي ناصر ياسين). بقي توفيق شديد معنا حتى شهر مايو(آيار) ١٩٥٩ وكان على خلاف دائم مع ياسر عرفات، في مايو قدم توفيق شديد استقالته من المجموعة. لم نكن حتى ذلك التاريخ قد اتخذنا اسماً للتنظيم الذي يريد أن يطلق ثورة مسلحة.

في الأسبوع الأخير من آيار (مايو) اجتمعنا اجتماعاً حاسماً، وقررنا أن نجد اسماً لتنظيمنا الجديد، وأن نكتب بياناً نعلن فيه أفكارنا.

كنّا جميعا مفتونين بالثورة الجزائرية، لذلك استلهمنا اسم تنظيمنا من اسم (جبهة التحرير الوطني الجزائري). قلنا نسمي أنفسنا (جبهة التحرير الوطني الفلسطيني)، لكننا في النقاش قلنا أن كلمة (جبهة) لا تنطبق علينا، لأن الجبهة هي ائتلاف بين مجموعة من المنظمات، وهكذا استبدلنا كلمة جبهة بكلمة (حركة)، وهكذا صار اسم التنظيم (حركة التحرير الوطني الفلسطيني) ثم اكتشفنا اسمنا المختصر حين عكسنا الحروف الأولى من الكلمة، فأصبحت (فتح)، واسبشرنا خيراً بالاسم، حيث ورد في القرآن الكريم آية:"إذا جاء نصر الله والفتح".

* * *

في ذلك الاجتماع تناقشنا في موضوع البيان الذي يحدد هويتنا الكفاحية (وكان العمل في ذلك الوقت سريّاً، بل غاية في السريّة)، فكلفني الأخوة أن اكتب أنا البيان. كان اجتماعنا في الأسبوع الأخير من مايو ١٩٥٩، فوعدتهم أن أنجز كتابة البيان في الأسبوع الأول من يونيو (حزيران) ١٩٥٩، وهذا ما كان، وبعد إنجازه والموافقة عليه، أخذه مني خليل الوزير(أبو جهاد) وعمل على

طباعته وتوزيعه، وساهم في ذلك الوقت محمد الأفرنجي في توزيعه بغزة. واسمينا أنفسنا في ذلك الاجتماع: اللجنة المركزية للحركة.

* * *

بعد البيان كان لا بد من إصدار المجلة التي تحمل فكرنا، وتنشر آراءنا دون أن تفصح عن أنفسنا.

وذات يوم أبلغني أبو جهاد أنه وجد طريقة لإصدارها من بيروت. وهكذا صدرت (فلسطيننا) التي أضاف أبو جهاد عليها كلمة: نداء الحياة. وصار لحركتنا وسيلتان إعلاميتان هما: بيان حركتنا ومجلة فلسطيننا. وكنت أكتب الافتتاحية للمجلة تحت عنوان (رأينا).

* * *

عام ١٩٦٠ قررنا تنشيط الساحة السورية، وتشكيل لجنة تنظيم سوريا، واخترنا محمود الخالدي، وحسام الخطيب، وحسن عباس، وسليم زيد.

واقترح عبدالله الدّنان إدخال منير سويد إلى اللجنة المركزية.

* * *

هيكل البناء الثوري

هيكل البناء الثوري كتبناه عام ١٩٦٢، وهو كتابة جماعية من المجموعة ساهم في كتابته وصياغته عبدالله الدنان، ومنير سويد وغيرهم.

منذ عام ١٩٦٠ دخل الحركة العديد من القيادات التاريخية، مثل أبو أياد(صلاح خلف)، وفاروق القدومي، وخالد الحسن، وأبو مازن، وأبو يوسف النجار، وهاني القدومي، وأبو الأديب كان موجوداً منذ نهاية عام ١٩٥٩. أبو اللطف كان (ناظم) مع أبو عمار، وأبو السعيد جاء عام ٦٣ عن طريق عمر حسني عمر، ثم عن طريقي، وأبو مازن وأبو يوسف من قطر، وهاني القدومي عن طريق خليل الوزير عام ١٩٦٣.

وفي إبريل ١٩٦٦ صار محمود فلاحة عضواً في اللجنة المركزية.

عملية التابلاين

بعد الانطلاقة، نفذ ياسر عرفات ومجموعة معه عملية خط التابلاين في سوريا، الخط الذي يأتي من العراق ويمر عبر الأراضي السورية ثم ينتهي في صيدا.

العملية عملت مشكلة مع النظام السوري (أيام الرئيس أمين الحافظ) اللجنة المركزية لم يكن لها علم

بالعملية، فاتخذت قراراً بتجميد ياسر عرفات لمدة ثلاثة شهور من ١٩٦٥/١٠/١٥ حتى ١٩٦٦/١/١٥.

في شباط فبراير عام ١٩٦٦ شكلنا مجلس الطوارئ من جميع أعضاء اللجنة المركزية زائد فهمي هويد، ويوسف عرابي، ومختار بعباع، وأحمد جبريل، وعلي بشناق، ومحمود الخالدي، وحسام الخطيب، واتفقنا أن يكون مجلس الطوارئ هو المسؤول عن العمليات العسكرية.

* * *

في شهر مايو من عام ١٩٦٤ اجتمعنا في بيت عمر حسني لبحث موعد الانطلاقة، وتباينت بيننا وجهات النظر بين مؤيد للاسراع بالانطلاقة وبين من يريد التريث للتأكيد من وجود استعداد لذلك.

طلبنا حضور محمد الأفرنجي ليخبرنا عن إمكانيات واستعدادات غزة، حضر الأفرنجي، وسألناه عن صحة قائمة كان قد قدمها في الصليبخات، وفي تلك الليلة يبدو أن ياسر عرفات قد ضغط عليه وأقنعه بأن يغير رأيه.

وبالفعل تراجع الأفرنجي وغير رأيه بما يفيد أنه مستعد. وعندما غادر ترك لنا رسالة يقول فيها أن عرفات مارس عليه ضغوطاً كبيرة.

قررنا أن نكمل اجتماعاتنا في دمشق، وكنت شخصياً متشدداً في هذا الموضوع. وأرسلنا من يسأل الشيخ أبو سردانه حول الموضوع نفسه إلى الأردن، وكان جوابه سلبياً.

اعترض ياسر عرفات على كلام الشيخ أبو سردانه، فقررنا أرسال أبو الأديب إلى الأردن والضفة الغربية ليتأكد من الجاهزية.

عُدنا إلى الكويت، وتم الإقرار بالانطلاقة يوم ١٩٦٤/٩/١٦، أو ١٩٦٤/٩/٢٠. لكن الانطلاقة لم تتم، وفشلت لنقص الاستعدادات.

اقترح عبدالله الدنان تشكيل قيادة للانطلاقة، برئاسة أبو يوسف النجار، يكون فيها ياسر عرفات مساعداً أول له، ويكون محمود مسودة (أبو عبيدة) مساعداً ثانياً. لكن ياسر عرفات لم يعترف باللجنة، وعمل منفرداً، وكانت الانطلاقة الناجحة في ١٩٦٥/١/١، بعد قرار من اللجنة المركزية بالتصويت.

شهادة الأخت انتصار الوزير (أم جهاد)

قبل أن أبدأ لا بد أن أثمن الجهد الذي تبذلونه لتأريخ ثورتنا المجيدة، التي أعتقد أن بدايتها الأولى كانت في أوائل خمسينات القرن الماضي.

شهادتي عن أبو جهاد طويلة ومبكرة، خاصة وقد بدأت منذ الطفولة!

أبو جهاد خليل إبراهيم الوزير، مواليد مدينة الرملة، ولد في إضراب سنة ١٩٣٦، ولكن بعض الروايات تقول سنة ١٩٣٥، طفولته الأولى في مدينته الرملة، حيث كان الولد الأكبر للعائلة، وحظي من والديه برعاية واهتمام كبيرين، رغم ذلك ومنذ صغره تحمل المسؤولية.

كان يكلف من والده بمهام الكبار في مساعدته له في عمله، وكان يقوم بهذه المهمات بمقدرة، كان والده يمتلك (بقالة)، وهو الذي يذهب لشراء المواد الضرورية اللازمة للبقالة، ويحمل مئات الجنيهات الفلسطينية، ويذهب لإيداعها في البنك وهو على أبواب العاشرة من عمره.

اعتمد عليه والده منذ صغره وبالتالي تحمل المسؤولية في ذلك العمر المبكر.

التحق بمدارس الرملة، وكانت مرحلة الطفولة في ذلك الوقت، مرحلة مليئة بالمعاناة على الشعب الفلسطيني، فالاحتلال البريطاني يسيطر على البلاد، واليهود يتدفقون بالتواطؤ مع البريطانيين إلى فلسطين، ويسود الشعور لديهم بالمؤامرة، وان أرضهم ستسلب منهم، تدفق الهجرة اليهودية، وبداية بناء المستوطنات للمهاجرين الجدد، يعني، كانت المرحلة صعبة، بالنسبة لي وله. نحن أبناء عم، كان يكبرني بسبع سنوات، وأذكر أني زرتهم في الرملة مع والدتي ومكثت عندهم عدة أشهر.

كانوا أطفالاً، مثل كل الأطفال، يقومون باختراع ألعابهم الشعبية، يصنعونها بأيديهم، أذكر الزحافات التي كانوا يصنعونها، يحضرون قطع الخشب ويجمعون أغطية الزجاجات، ويربطونها بالخيطان على البكرات الفارغة، فتصبح زحافات، لم تكن الرفاهية متوفرة تلك الأيام، ولم تكن تصلهم الاختراعات الحديثة للألعاب، ولكنهم بشكل عام كانوا يعيشون حياة طبيعية، في مدينتهم الرملة، في بيوتهم في مجتمعهم، في أسرتهم، مع العائلة، حتى أجبروا على الهجرة.

حوصرت الرملة من قبل العصابات الصهيونية سنة ١٩٤٨ فالتجأ معظم أهالي الرملة إلى كنيسة في البلد، وأقاموا فيها ثلاثة أيام، عاشوا مع الرهبان الذين اعتنوا بهم وقدموا لهم احتياجاتهم من الإقامة والطعام، وفي الليل كانوا يخرجون لجمع الجثث ودفنها.

بعد ثلاثة أيام، عادوا إلى بيوتهم، فوجدوا المدينة خالية، مدينة أشباح. لا يوجد فيها غير الجنود

الصهاينة، وكانوا ينادون عليهم بمكبرات الصوت بالخروج من المدينة ومغادرتها، وقد أعدوا لهم باصات لتحملهم خارج المدينة.

والدته ووالده وأسرته لم يحملوا معهم أي شيء، غير (صرة) وضعت فيها والدته بضعة أرغفة وبعض قطع الجبنة لإطعام الأولاد. وعندما بدأوا الصعود إلى الباص، جاء جندي إسرائيلي وانتزع (الصرة) من يد والدته، ثم ألقى بها إلى الأرض، عز على أبو جهاد أن يرمي الجندي الأرغفة، فغافله ليحاول إحضارها عن الأرض، وفعلاً حمل (الصرة) وعاد بها إلى الباص، فرآه الجندي، وصوب بندقيته باتجاهه، وأطلق النار عليه، كانت والدته تتابع المشهد، فلما رأت الجندي يصوب باتجاه أبو جهاد، أسرعت واحتضنته، فانطلقت الرصاصة باتجاه ابن الجيران، ولعل هذه الحادثة. أول محاولة لاغتياله وهو لا يزال في العاشرة من عمره.

خرجت الباصات من الرملة باتجاه غزة، وكان القصف الإسرائيلي يطاردهم طوال الطريق، حتى وصلوا رام الله، وفي رام الله، قام الجيش الأردني بنقلهم إلى الخليل، وأذكر كما روى لي، عندما وصلوا الخليل، استقبلهم أهالي الخليل، وساعدوا المهاجرين الذين التجأوا إليهم من أكثر من مكان، قدموا الطعام والمساعدات، وأمضى مع عائلته ثلاث ليالٍ، ينامون تحت الأشجار، ثم واصلوا طريقهم إلى غزة.

قصة الهجرة والرحيل القسري من الرملة إلى غزة، ظلت راسخة في ذهن أبو جهاد، لم يمحها الزمن، وظل الإحساس بالألم، وبأنه لا بد أن يعود إلى الرملة في يوم من الأيام. هاجسه اليومي الذي عاش معه طوال حياته.

بعد اللجوء إلى غزة، درس في الخيم التي أقامتها وكالة الغوث للاجئين، وبدأت معاناته الحقيقية، في معاناة أسرته المادية، لقد تركت الأسرة منزلها ودكاناً كان مصدر رزقها، وأيضاً (حمّام) كان يمتلكه والده في الرملة، فلم يعد لديها ما تملكه.

عند وصولهم غزة. استضافهم والدي في بيتنا، وأقاموا سنة ونصف تقريباً معنا. عشنا هذه المدة في بيت واحد بحكم قرابتنا، فكما أسلفت أننا أبناء عم، ثم استأجروا بيتاً مستقلاً وأقاموا فيه.

واصل الدراسة في مدارس غزة، كان هو وشقيقه الأصغر في نفس الصف.

كان يدرس ويعمل في نفس الوقت، ويحاول مساعدة والده بالحصول على دخل للأسرة، وأول عمل عمله، أحضر صندوقاً فيه نثريات مختلفة، أمشاط، ماكينات حلاقة، مقصات، شفرات، أدوات خياطة، وكان بعد نهاية الدوام المدرسي، يجلس به على الرصيف للبيع طبعاً، ثم انتقل إلى عمل لدى أحد التجار، دون أن يترك الدراسة، واستطاع أن يوفر من هذا الدخل مبلغاً لشراء كاميرا، وبالفعل

اشترى كاميرا، وكان يمضي كل فراغه معها، يذهب بها إلى مخيمات اللاجئين في غزة، وجباليا، ورفح وكل مدن القطاع، كان يتجول ويصور هذه المخيمات، أماكن البؤس والشقاء، وخاصة الأطفال. بأشكالهم الفقيرة، البسيطة، دون ملابس، دون أحذية، وكيف يعيش الشعب الفلسطيني الذي اقتلعه الاحتلال من مدنه وقراه، وكان يرسل هذه الصور إلى المجلات والصحف العربية، وحتى إلى الأمم المتحدة. كان في هذا المجال نشطاً وفاعلاً في كشف معاناة الشعب الفلسطيني في هذه المخيمات.

بدأ وعيه السياسي يتفتح في بداية الخمسينات، لم يكن في قطاع غزة أحزاب كثيرة. كان حزب الأخوان المسلمين هو الأكثر حضوراً وانتشاراً، فانتمى إلى الحزب. وتشبع بثقافته، كان الحزب كما كل الأحزاب في فلسطين، تضع في أولويات شعاراتها، تحرير فلسطين، دون ممارسة عملية للشعارات، ترقى أبو جهاد في الحزب، وأصبح مسؤولاً للمكتب الطلابي، مشرفاً على الشبيبة الطلابية الملتزمة بالحزب، عملياً كانت هذه الفئة تحت قيادته، ووضع همه في تثقيف هؤلاء الشباب، يوعّيهم، ويدربهم على اللياقة البدنية.

أذكر كنت صغيرة، وكنت أراهم وهم يمشون بطريقة عسكرية، مجموعات، مجموعات، مثل الجنود. يكون هو على رأس هذه المجموعات بالشورت، والشباب خلفه يركضون مسافات طويلة في شوارع غزة، وخاصة على شاطيء البحر. في النصيرات، في رفح، يذهبون من غزة إلى تلك المناطق ركضاً، جري سريع، ومشي بطيء، كنت أحس أن لديه جهداً للبناء، بناء الإنسان وبناء الفرد، تطور عمله مع الشباب، وبدأ بالتفكير بأن فلسطين لن تتحرر إلا بالكفاح المسلح، كان مؤمناً بالكفاح المسلح، وأنه ليس غير أبناء فلسطين من سيخوض هذا الكفاح، فهم أصحاب القضية الحقيقيين، وهم الذين يجب أن يبادروا بهذا الكفاح، وبالفعل بدأ يفكر في طريقة للبدء بهذا العمل، فكتب تصوره ضمن خطة واستراتيجية إلى قيادة الأخوان المسلمين، بالطبع قرأوا الخطة، وكان جوابهم، ليس الآن، أي رفضوا الفكرة.

بدأ أبو جهاد بالانسحاب من الحزب تدريجياً، وبانسحابه انسحب الشباب أيضاً من الحزب، ثم فكر في عمل تنظيم خاص، وبالفعل استطاع أن يجند أعداداً كبيرة من الشباب التي أصبحت فيما بعد قيادات هامة في حركة فتح.

أذكر منهم، كمال عدوان، أبو هشام (سعيد المزين)، محمد الافرنجي، منير عزور، أحمد وافي، أبو الأديب، رياض الزعنون، كانوا بديلاً عن تنظيم الإخوان المسلمين، شكلوا تنظيماً، وكان هم التنظيم الأساسي، البدء في عملية الكفاح المسلح، ولم يكن للتنظيم اسم ، كانوا يلتقون ويتناقشون، ويقومون

بتطوير أفكارهم، ومن أبرز الشباب في تلك الفترة حمد العايدي.

كانت غزة تحت الإدارة المصرية، يعني تحت الحكم المصري، وكان لها حاكم عسكري مصري موجود في قطاع غزة وهو الذي يدير أمورها.

في تلك الفترة بدأوا بالفعل بعمل عمليات عسكرية، ومن أهم تلك العمليات، نسف (خزان زوهر) بين سنة ١٩٥٣ وسنة ١٩٥٤، ثم عدة عمليات نسف وتفجير، ووضع ألغام على طريق مرور الجيبات العسكرية، كانوا يقومون بالتسلل إلى المناطق المحتلة، ويشنون غارات على الدوريات الإسرائيلية، أو يزرعون الألغام على طريق مرورها.

وكانت إسرائيل تقوم بردات فعل عنيفة على هذه العمليات. وأبرز ردات الفعل حصلت سنة ١٩٥٥ كما أذكر عندما قصفت إسرائيل قطاع غزة بعنف وهمجية، وأوقعت ضحايا عديدة، جرحى، وشهداء، وتدمير.

كان أبو جهاد في ذلك اليوم في (الساحة) وهي مركز رئيسي في غزة، وكان يوجد بالقرب من الساحة سينما أسمها (سينما سامر)، وكان الفيلم فيها ينتهي في الساعة الخامسة ثم يخرجون من السينما إلى (الساحة)، وبالتحديد في لحظة خروجهم من السينما إلى الساحة قصفوا المكان بـ (المورتر) وأوقعوا أكبر عدد من الإصابات بين الناس، ثم اقترفوا مجزرة أخرى في كتيبة فلسطين، وكانت من الشباب الفلسطيني تابعة للجيش المصري، فقد جند المصريون مجموعات من الشباب باسم هذه الكتيبة، واستشهد أيضاً عدد كبير منهم في القصف الإسرائيلي، كذلك قاموا بقصف حاجز بين رفح وخان يونس وسقط جرحى وشهداء، على إثر هذه المجازر، قامت في غزة مظاهرات عنيفة جداً، كانت المرة الأولى التي يخرج فيها الشعب الفلسطيني عن بكرة أبيه، رجالاً ونساءً شباباً وشيوخاً، يتظاهرون ويطالبون بالتسليح، كان من رموز المظاهرات، فتحي البلعاوي، والشاعر معين بسيسو، وأبو يوسف النجار، وأبو جهاد.

تلك الفترة كان الأخ ياسر عرفات رئيساً لرابطة طلبة فلسطين في القاهرة، فقاموا باعتصام داخل الرابطة احتجاجاً على ما يجري في غزة، وكان في الرابطة أبو الأديب، وأبو إياد، وأبو اللطف ومجموعات من الطلاب أصبحت فيما بعد قيادات حركة فتح.

بالطبع كانوا جميعهم أعضاء في الرابطة، بلغت أخبار اعتصامهم الرئيس عبد الناصر. فأرسل يطلب أن يجتمع بقيادة الرابطة، وقابل ياسر عرفات وتحدث أبو عمار عن وضع الشعب الفلسطيني الأعزل، وتعرضه للمذابح دون أن يملك الدفاع عن نفسه، وطرح على عبد الناصر تسليح الشعب الفلسطيني، كان كل حديثه ضمن هذا الاتجاه، أجابه عبد الناصر بالموافقة، وطلب منهم تشكيل

وفد يذهب إلى غزة لعمل تقرير شامل بالأوضاع.

بالفعل حضر أبو عمار إلى غزة وكان يرافقه أبو الأديب، وأبو إياد كما اعتقد.

في هذه الأثناء كان أبو جهاد هو المسؤول عن مجلة (فلسطيننا) في مدرسة فلسطين الثانوية.

فذهب ليلتقي بياسر عرفات والوفد القادم عن رابطة الطلاب من مصر، ذهب كصحافي، وعمل لقاء مطولاً مع أبو عمار نشره في مجلة (فلسطيننا)، وكان هذا أول لقاء بين أبو عمار وأبو جهاد لقاء صحافي.

لم تتوقف العمليات العسكرية من قطاع غزة، وفي احدى المرات ذهب أبو جهاد مع احدى المجموعات، ولم يتمكنوا من الدخول، ولم يستطيعوا وضع العبوة، ولم يرغب أبو جهاد في إعادتها إلى غزة، قام بحفر حفرة في التراب، ودفن العبوة فيها، ثم وضع الصاعق في منطقة أخرى قرب العبوة.

بالصدفة مرت بالمكان هجانة مصرية، تركب الجمال فاصطدم الجمل بشيء، جعل راكبه يهبط ليرى الأمر، فوجد الهجانة العبوة، وقاموا بتفتيش المكان، فعثروا أيضاً على الصاعق، فحملوا العبوة والصاعق إلى السرايا في غزة.

قام الضابط الموجود بفحص العبوة وتفكيكها، ووجدها صنعاً محلياً، قطعة حديد تحمل ضاغطاً على المتفجرات. فقام بفك الحديدة عن العبوة وأخذها، وطاف بها على الحدادين في غزة وسألهم جميعهم:

- هل تعرف أن تصنع قطعة مثل هذه؟ فكان الحداد يجيب : بنعم.

- هل أتى أحد وطلب عمل مثل هذه القطعة من عندك؟ الإجابة: لا.

المهم استطاع الوصول إلى حداد في حارة الزيتون. فسأله نفس الأسئلة السابقة، وهل عمل لأحد مثلها، فقال الحداد، نعم عملت لشاب لا أعرف أسمه، ووصفه بأنه أسمر، نحيف، كان ابن الرجل جالساً يستمع، فقال: أنا أعرف أسمه، هذا خليل الوزير. وهو طالب في مدرسة فلسطين الثانوية.

في نفس اليوم انتظروه أمام المنزل، وعندما خرج أبو جهاد من الباب، نادوا عليه، وأخذوه معهم إلى السرايا، لم يكن يعرف لماذا قبضوا عليه؟ وكان في جيوبه أوراق تتعلق بنشاط التنظيم، فطلب من الضابط الذهاب إلى الحمام وهناك تخلص منها في الحمام.

جاء والده ووالدته إلى بيتنا. وأخبروا والدي أن المخابرات قبضت على خليل ولا يعرفون لماذا؟ فبدأوا محاولاتهم لمعرفة القصة ولإخراجه من السجن.

أثناء ذلك وهو جالس في غرفة الضابط، قام الضابط بفتح الخزانة التي فيها قطعة العبوة. فرآها أبو جهاد وعرف موضوع التهمة، وكان يستعد في ذلك الوقت لتقديم امتحان الثقافة كما يسمى وهي شهادة تسبق الثانوية العامة بسنة ولكن حادثة اعتقاله أضاعت عليه الامتحانات فلم يتمكن من تقديمه، فقد أفرج عنه بعد ٢٤ يوماً، وكانت الامتحانات قد انتهت.

يتحدث عن ذلك الاعتقال دائماً بمرارة، وأن الإهانة الأكبر التي أحس بها عندما قاموا بحلق شعره.

طبعاً، حققوا معه تحقيقاً شاملاً لمعرفة من وراءه؟ ومن شريكه؟ لقد تصوروا وجود جهات قوية خلف هذا العمل، فاخبرهم أنه قام بهذا العمل بدافع وطني شخصي هو وصديقه حمد العايدي، الذي كان قد أحّس بالملاحقة، قبل إلقاء القبض على أبو جهاد بفترة، وترك غزة إلى الضفة الغربية.

فطبعاً كان أبو جهاد متأكداً من وجود حمد العايدي في الأردن.

بالتالي كل إجاباته، انه وحمد فقط اللذان قاما بالعمل، ثم صدر حكم بإبعاده، تدخلت من أجله وساطات الأهل والأصدقاء. واستطاع إكمال دراسته حتى التوجيهي الذي حصل فيه على واحد من الأوائل الستة في مصر وغزة، فالشهادة كانت تضم مصر وغزة، ثم غادر إلى جامعة الإسكندرية. طالباً في كلية الصحافة.

في غزة. كنت في عمر اللعب في الشارع، عندما بدأ الشباب بالتفكير بمقاومة الاحتلال. بدأوا بإصدار منشورات ضده، ففكرة المقاومة ظلت مستمرة. أما أبو جهاد فكان قد بدأ بالتردد على رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة، ولما احتلت غزة، ترك الجامعة في الإسكندرية والتحق بمعسكر التدريب الذي أقامته الرابطة، لتدريب الشباب الفلسطيني وإرسالهم إلى غزة لمقاومة الاحتلال، التحق بالمعسكر استعداداً للعودة إلى غزة. طبعاً انتهت الحرب سنة ١٩٥٦، وانسحب الإسرائيليون من القطاع.

كان أخي الكبير درويش الوزير، يعمل في السعودية، مساعداً لوزير التربية والتعليم، وكان يأتي مع وزير التعليم للتعاقد مع المدرسين.

جاءت البعثة من السعودية للتعاقد مع مدرسين عرب، مصريين، فلسطينيين، وأردنيين، ولبنانيين إلى القاهرة. وحضر أخي مع البعثة، وبالطبع التقى أبو جهاد، وطلب مساعدته في ترشيح مدرسين للبعثة، فأحضر له أبو جهاد معظم رفاقه من شباب التنظيم في غزه، جمعهم من مناطقها المختلفة، للذهاب للعمل في السعودية، وكذلك تعاقد هو الآخر وذهب إلى السعودية، وتم تعيينه في منطقة (القنفذة). وهناك كانت الحياة صعبة، لم يستطع العيش فيها، كانت الظروف صعبة، والمعاناة شديدة.

وفوق كل ذلك مرض، كره العمل، وبسبب المرض وكل هذه الظروف، قرر ترك السعودية بعد أن أقام فيها ستة أشهر.

عاد إلى غزه، وبدأ يراسل أصحابه في الكويت، للذهاب للعمل هناك، وبالفعل، جاءه قبول للعمل في الكويت سنة ١٩٥٧، سنة ١٩٥٨ في الكويت تجذرت علاقته بياسر عرفات، وبدأوا حوارات ومناقشات جادة باتجاه العمل، وقد كتب بخط يده، (كنا في سيارة ياسر عرفات، نجوب شوارع الكويت، وتوقفنا فجأة على شاطئ الخليج، وهناك اتخذنا خطوتنا الأولى، وقرارنا الأول بأن نبدأ بالتنظيم)، وتم الاتفاق على بناء تنظيم وبداية الكفاح المسلح، كانت الخلية الأولى التي بنيت بشكل تنظيمي، ثمّ انضم إليهم عادل عبد الكريم وبدأت الخلية الأولى بهؤلاء الثلاثة، ياسر عرفات، خليل الوزير، عادل عبد الكريم، في الاجتماع الثالث انضم إليهم (يوسف عميره، ومحمد شديد)، وأقسموا اليمين بالاستمرار في العمل وان يعمل كل واحد منهم، ينظم آخرين يثق بهم لينضموا إلى هذه الخلية، لكن بعد فترة انسحب يوسف عميره ومحمد شديد وبقي الثلاثة مصممين على بناء حركة لأجل الكفاح المسلح وتأسيس التنظيم.

علاقتي مع أبو جهاد

ارتباطي الشخصي بدأ عبر القرابة بيننا، فنحن كما أسلفت أبناء عمومة، ومنذ بدأت مرحلة الإدراك، أحسست بالفعل، أنني أحبه، كان يجذبني بشخصيته، وأفكاره، وتعامله، ورقته، وشعوره القوي تجاه وطنه وتحريره يشدني إليه، وكنا دائماً في نقاش دائم ومستمر تجاه هذا الموضوع، نتفق، ونختلف، ولكن كل ذلك في نطاق العائلة. وللمفارقة أنني لم أنتظم في فتح عن طريق أبو جهاد، ولم أكن أعرف أنه أحد كوادر فتح.

كنت مؤمنة بافكاره ولعلها بلا شعور دفعت بي إلى اختياري، وزاد تأثير هذا الاختيار، احتلال غزة سنة ١٩٥٦، عندما اقتحم الإسرائيليون بيتنا، وقاموا بضرب والدي لأنه رفض أن يدلهم على مكان شقيقه غالب الوزير، كان الإسرائيليون يبحثون عنه، وعن كمال عدوان وعن سعيد المزين (أبو هشام) وعن منير عجور، فطلبوا من والدي أن يدلهم على منزل عمي غالب، فرفض فقاموا بضربه، وهذا أثر في نفسي كثيراً.

وفي نفس السنة، بدأت أساعد الشباب، أذكر أني حملت لهم آلة كاتبة، ثم مناشير، ثم توصيل رسائل من س إلى ص، ولم أكن أقدر كثيراً أبعاد هذه الأعمال.

خرج اليهود من غزة، وتركوا أسئلة كبيرة وواعية لدى الشباب (الفلسطينيين)، دخول اليهود

وخروجهم دون أن يكون لدى الشباب والشعب الفلسطيني سلاح لمقاومتهم.

تولدت حالة من الغضب والرفض لهذا الواقع، وبأنه يجب أن يكون في أيدي الفلسطينيين ما يقاومون به.

الحكم المصري، التقط هذا الغضب الذي بدأ يظهر في الشارع، وحاولت الإدارة المصرية امتصاص هذا الغضب فأعلنوا عن إنشاء الجيش الشعبي، والتدريب في كل المدارس في ساعات إضافية، خصصت للتدريب العسكري، والتوعية الوطنية، في المدرسة حضرت حلقات التدريب على تفكيك السلاح، كانت بارودة لا أذكر اسمها الآن وأشياء بسيطة.

لكنها كانت تولد لدينا نقاشات مع الاستاذ المدرب، كانت نقاشاتي تلفت انتباه المدرب، فأصبح يركز عليّ خلال المناقشات، ثم أحضر لي مجلة (فلسطيننا)، كان هذا سنة ١٩٥٩، عند قراءاتي لهذه المجلة كنت أحس ان وراءها تنظيم، وأنها ليست مجرد مجلة للقراءة فقط، هناك ثمة فكر. وهدف واضح داخلها من المقالات التي كانت تحرض على الثورة. سألت الأستاذ المدرب، من أين أحضرت هذه المجلات؟ أريد أن أكون واحدة من هؤلاء الذين يطرحون هذه الأفكار، وبالفعل تنظمت عبر أستاذي، سنة ١٩٥٩ أيضاً وفي الصيف، طلب مني الأستاذ حضور اجتماع، وقال لي: سيحضر هذا الاجتماع مسؤول من خارج غزة، وطالما لديك الرغبة بالتعرف عليه، سنعرفك عليه.

ذهبت قبل موعد الاجتماع لأرى المسؤول، فلما حضر المسؤول كانت المفاجأة انه أبو جهاد، فقلت له: أنت في حركة فتح؟ لماذا لم تخبرني أنك في فتح؟

وبدأت أناقشه بعتب، قال لي: الآن سنحكي في أمور فتح، ثم نتناقش، ونتفاهم.

استمرت الجلسة حوالي ساعتين، ناقشنا كل القضايا المطروحة، وعند انتهاء الاجتماع، قال لي: سأوصلك إلى البيت، وفي الطريق برر لي لماذا لم يقل لي، وقال أنه متأكد أنني إنسانه مناضلة، وأحب العمل في الإطار الوطني، وأنه لم يرغب أن يؤثر علي لدخول الحركة حتى لا تكون مجاملة مني له، وأنني ابنة عمه، وأنه سعيد جداً، انني وصلت لحركة فتح باختياري، وقناعتي، وهذا في رأيه يعني أن لدي إمكانيات العمل والاستمرار، وبالفعل أصبحت الصورة مختلفة، ومنذ تلك اللحظة أصبحت أمينة سره، يضع لدي الوثائق السرية والهامة، وحتى تخبئة الأسلحة.

كان يعمل في الكويت ذلك الوقت، ويأتي إلى غزة في عطلة، الصيف والشتاء، للتواصل مع أبناء الحركة، وفي فترة غيابه، كانت الاتصالات تأتي إلي وأقوم بتوزيعها على الأخوة في الحركة، محمد الافرنجي، موسى عرفات، الخزندار، الخلايا الأولى للحركة في غزة.

استمرت علاقتنا علاقة عمل من سنة ١٩٥٩ إلى سنة ١٩٦١، فشخصية أبو جهاد، كتومة، وهو من النوع الذي يخفي مشاعره، ولم يكن يرغب في الارتباط، وهذا ما قاله لي فيما بعد، كانت فكرة الارتباط والزواج، وبناء أسرة تخيفه، بأنها قد تكون عائقاً للمهمة التي نذر حياته لها، فتحرير فلسطين هو الهدف الأول في حياته، وقال إن الكثير من الشباب والأصدقاء الذين عرفهم وارتبطوا بالزواج، فتر حماسهم واهتمامهم بالعمل التنظيمي عما قبل الزواج بسبب مسؤوليات الزواج، وتراجع جهدهم، وهو لا يريد أن يصل إلى هذه المرحلة.

لكني بشعوري الثوري وإيماني بنفس أفكاره تجاه فلسطين، استطعت ان أقنعه، ان هذا لا ينطبق على الجميع، قلت له: فلسطين ليست لك وحدك، وهي قضيتنا جميعاً. وبالتالي علينا التضحية.

قال: أنه مشروع استشهادي، وأن نتائج استشهاده وتوابعها عليّ تخيفه، قد أصبح أرملة في وقت مبكر، وأبدأ بالمعاناة وحدي، أو يصاب فيصبح مقعداً مثلاً، وأيضاً هذه معاناة لي، أو يسجن...إلخ. فكيف اقبل بالارتباط برجل هذا هو مصيره ومستقبله؟ حذرني من ربط مصيري به.

كان يرى مصير اختياره دائماً أمامه، ومنذ بدأ طريقه في النضال، فكنت أؤكد عليه أن المستقبل لنا جميعاً، والقضية قضيتنا جميعاً، وأنك وحدك لن تحرر فلسطين، فهي تحتاج لجهودنا معاً، وأن نضع أيدينا مع بعضها ومصيرنا واحد.

فتزوجنا سنة ١٩٦٢، المهم عقدنا القران وقال لي يومها: أنا رجل لاجئ، ومشرد ولا يمكن أن أعمل، احتفالاً وعرساً، لا رقص ولا غناء. فوافقت، وقلت له بدوري: أنا ليست لدي مشكلة في هذا الموضوع، وتزوجنا دون عمل فرح، الأصدقاء احتفلوا به على طريقتهم، فكتب أبو هشام (المزين) قصيدة للمناسبة، خاطبه فيها، يا زعيم العازبين، فقد كان متزعماً عدم الزواج.

للحقيقة قضية فلسطين، عاشت معنا في كل مسامات حياتنا، في اليوم الثالث من زواجنا أحضر آلة كاتبة، وبدأت أطبع له البيان، كنا نقوم بطبعه على ورق الحرير، ونسحبه، ونعمل منه عدة طبعات على الكربون، كنت طول النهار، الباب مغلق، وأنا أطبع.

ثم خرجنا من غزة إلى القاهرة، ومن القاهرة إلى بيروت، سافرنا إلى لبنان عن طريق المطار، وقدمنا جوازاتنا. اطلعوا عليها، وثائق فلسطينية صادرة من غزة، قالوا: ممنوع دخولكما لبنان، كان الوقت ظهراً، فبقينا حتى التاسعة ليلاً ونحن في غرفة الانتظار، جالسين على المقاعد، جاء ضابط وسألنا، لماذا نحن جالسين؟ فقال أبو جهاد: أننا جئنا لنقضِي شهر العسل في لبنان، ولم نعطَ تصاريح الدخول، طلب أن يرى الجوازات، وقال: اذهبوا واحجزوا على أي بلد آخر، حجزنا إلى الأردن، وأبقى الضابط الجوازات والتذاكر معه، وأعطانا ورقة نخرج بها من المطار ونمضي ليلتنا في بيروت، وأن نعود في

صباح اليوم التالي لأخذ تذاكرنا ومغادرة لبنان.

كان المهم أن ندخل إلى بيروت، وفي بيروت غبنا، أقمنا بحدود شهر تقريباً، وقام أصدقاء أبو جهاد وهما لبنانيان، (توفيق حواري) و(هاني فاخوري)، بإحضار الجوازات، وتأشيرة دخول، وعملاً لنا إقامة في بيروت.

في تلك الأيام، كانت فتح تقيم معسكر تدريب في الجبل (بحمدون) وكان المعسكر سرياً، كانت الأرض التي أقيم عليها المعسكر لأحد الاخوة، وجاء إليه شباب من الأردن وبالطبع من لبنان، فذهبت معه إلى المعسكر، وتعرفت على الشباب، الذين يتدربون وفيما بعد جاءوا لزيارتنا في الأردن، والتقيت وإياه بالدكتور زهير العلمي، ورافقته إلى كل الأماكن التي كان يذهب إليها.

كان يمضي معظم وقته في متابعة (مجلة فلسطيننا)، وأستطيع أن أقول أنه كان يصدرها بأكملها، فهو مسؤولها الأول، وهو الذي يستكتب الاخوة لها، أبرز كتابها الأخوان، أبو عمار، وأبو اللطف، لكنه المسؤول عن إخراجها وإصدارها وما يكتب فيها من مقالات، وفي بيروت جاءه شاب من عين الحلوة، فطلب منه أبو جهاد، أن يرى شباب الحركة في المخيم وأن يجتمع بهم، كان مخيم عين الحلوة مسيطراً عليه سيطرة كاملة من المكتب الثاني، ولا إمكانية لأحد بالدخول إليه، وخاصة إذا كان شخصا غريبا، يمنع أو يلاحق فوراً، فرتب الشاب طريقة لدخولنا إلى المخيم، ذهبنا لنجد ان والدته، قد هيأت البيت لعمل عرس، ودعت الجارات والصديقات، على اعتبار ان العروس ابنة أخيها، وأنها قادمة من فلسطين لزيارتها، وستحتفل بها، وبالفعل قمت بدور ابنة أخيها، وجلست مثل العروس، وبدأ الغناء والطبل والرقص، وأبو جهاد يعقد في مكان آخر اجتماعاته مع الشباب، وكان منهم أحمد الأطرش، شقيق الشهيد زياد الأطرش، المهم بقينا حتى أنهى اجتماعاته، وعاد بالعروس إلى بيروت.

وانتهت الزيارة وعدنا إلى الأردن، وكان أبو جهاد قد تغلب على صعوبة دخوله إلى الأردن. فقد أرسل من قبل وهو في الكويت رسالة إلى وزير الداخلية الأردنية، قال فيها، أنه مدرس فلسطيني يعمل في الكويت، وأنه يرغب مع عروسه، بقضاء شهر العسل في ربوع الأردن الحبيب، وكان رد الوزير ايجابياً، أننا نرحب بكما، وستكون الفيزا جاهزة في مطار قلنديا، نزلت الطائرة في مطار قلنديا وبالفعل كان كل شيء جاهزاً، وذهبنا مباشرة إلى القدس، تجولنا في الضفة الغربية، وفي عمان، والسلط، والزرقاء، والتقينا بكوادر فتح، ووجدنا أن استعدادهم تام وهم متحمسون في انتظار الانطلاقة، وطالبوا ببعض التجهيزات، وطبعاً شرح لهم الوضع في الخارج، والظروف، والمعوقات أمام الانطلاقة، وأن البداية ستكون قريبة.

في الخليل نزلنا في ضيافة (بدوي جنيد)، وكان هذا الرجل من أهم رموز فتح في الخليل، كما التقينا بشخصيات كثيرة في الخليل، وفي عمان التقينا الأخ أبو ماهر غنيم، وفي أريحا الأخ حمد العايدي، ثم ذهبنا إلى رام الله، وقلقيلية، وطولكرم، وكان وجودي معه يعطيه غطاءً في هذه الجولات وكنت أسهل له الحركة.

من الأردن خرجنا إلى الكويت مباشرة، ونحن نهبط، كان ياسر عرفات ينتظرنا عند درج الطائرة، رحب بالعروس، وكانت المرة الأولى التي أرى فيها أبو عمار.

أخذنا في سيارته إلى بيت ابن عم لي اسمه محمود الوزير، وأصبحنا منذ ذلك اليوم معاً، لا نفترق، أبو عمار، وأبو جهاد، وأم جهاد، دائماً وفي أي مكان، بحثنا معاً عن بيت للسكن، اشترينا أثاثاً للبيت معاً، ولما أصبح لدينا بيت، أصبح هذا البيت هو مركز القيادة، جميع أعضاء اللجنة المركزية، تأتي للاجتماع فيه، أبو اللطف، وأبو السعيد، عادل عبد الكريم، عبد الله الدنان، محمود فلاحة، هاني القدومي.

كان العمل لا يزال سرياً حتى ذلك الوقت، وكان حضور ضيف غريب إلى البيت، والشباب موجودين، يربكنا، فنلجأ للاعتذار بأية طريقة.

علاقة أبو جهاد مع الاخوة في الجزائر

طبعاً سأرويها كما أعرفها، بدأت العلاقة مع الجزائريين من خلال الأخ (أبو رؤوف)، الأخ الأكبر لأبو عمار، والذي ربطته بإخوة جزائريين علاقات وطيدة فترة وجودهم في مصر، كان (أبو رؤوف) صديقاً، لآيت أحمد، ومحمد خضير، وعندما اعتقل القادة الخمسة مع بن بيلا، ظل (أبو رؤوف) على علاقة متواصلة مع عائلاتهم، يتصل دائماً، يحاول مساعدتهم في ما يحتاجونه، فلم يقطع الصلة بينه وبينهم أبداً.

وعندما تحررت الجزائر، جاءت دعوة للأخ (أبو رؤوف) لحضور احتفال الاستقلال، امتناناً لدوره معهم، ولتأييده وتضامنه الدائم لهم، فذهب للجزائر، وبعد حضور الاحتفالات، عرض الجزائريون على الأخ (أبو رؤوف) بفتح مكتب للفلسطينيين في الجزائر، ليتعرف الشعب الجزائري على الوضع الفلسطيني، قالوا: نحن لا نعرف شيئاً عن الفلسطينيين، وطلبوا من (أبو رؤوف) ان يستلم المكتب، وبالتالي تتعزز العلاقة بين الجزائر وفلسطين.

مكث (أبو رؤوف) في المكتب فترة أيام، ثم أرسل للإخوة في فتح، انه لا يرغب في البقاء في الجزائر، وعليهم اختيار احد الإخوان منهم ليقوم مقامه، ويستلم المكتب قبل هذه الفترة، كان محمد خضير

قد حضر إلى الكويت، فذهب أبو عمار وأبو جهاد لمقابلته، وطلبوا منه فتح مكتب لفلسطين في الجزائر، فقال لهم: ان المكتب موجود، وأننا سلمناه للأخ (أبو رؤوف)، وإذا أردتم الحضور فليس لدينا أي اعتراض.

حصل هذا في شهر ١٩٦٣/٣، كانت اللجنة المركزية تلك الليلة مجتمعة في بيت عادل عبد الكريم، وجاء أبو جهاد حوالي الفجر من الاجتماع، وقال لي: علينا الاستيقاظ باكراً، كان الغد يوم جمعة وهو يوم عطلة . قلت له: غداً الجمعة، لماذا؟

قال: سنسافر، أنا سأذهب إلى الجزائر وأنت إلى غزة، ولا أريد ان يعرف بسفري الى الجزائر أي إنسان، حتى والدتي ووالدي.

صباح الجمعة ذهبنا إلى المطار، فاصطدمنا بأنه كمدرس يجب أن يكون معه إذن خروج فمُنِع من المغادرة، وعدنا لأبو عمار الذي بعلاقاته استطاع، أن يمون على أصدقائه الكويتيين بفتح دائرة التربية والتعليم، أي وزارة التربية والتعليم، في يوم جمعة، وأن يستخرجوا تصريح موافقة لأبو جهاد كي يغادر الكويت، وهذه دلاله من الدلالات على قوة العلاقة التي كانت بين الأخوة في الكويت والفلسطينيين، كم كانت وثيقة ومؤثرة؟.

في اليوم التالي غادرنا إلى بيروت، أنا ذهبت من هناك إلى غزة، وهو إلى الجزائر، وأخفيت الأمر ولم يعرف أحد إلى أين ذهب؟.

في غزة أنجبت جهاد الذي كنت حاملاً به، وبقيت هناك ستة أشهر، خلال هذه الفترة، كان قد وصل الجزائر، واستلم المكتب من (أبو رؤوف) ، وفيما بعد قال لي أبو رؤوف: أنه أقسم يمين التحاقه بالحركة أمام أبو جهاد.

كان بن بيلا هو الرئيس ذلك الوقت، وكان يخضع لضغوط مصرية قوية، وكان رأي المصريين، أن لا تمنح الجزائر حركة فتح، مكتباً، فمن هم هؤلاء؟ وهكذا عطل بن بيلا تسليم المكتب لأبو جهاد، وبدأ أبو جهاد يذهب يومياً إلى مكتب بن بيلا، ليأخذ إذن تصريح بفتح المكتب، وكان يبقى هناك طوال النهار وحتى نهاية الدوام، لدرجة أن بعض الموظفين اعتقدوا أنه موظف معهم في مبنى الرئاسة.ستة أشهر أمضى على هذا الحال، والعائلة تسأل، أين خليل؟ فأجيب، أنه يقدم امتحانات في الجامعة في بيروت، وكانت المخابرات المصرية تأتي كل يوم للسؤال عنه؟

في الجزائر، اتخذ اسماً غير اسمه، فكان يعرف (علال بن عمار) اسم جزائري، وبدأ الشباب بالتعرف عليه كجزائري، وبالصدفة بعد الشهور الستة، التقى بأحد أصدقائه الجزائريين، (عثمان السعدي) الذي كان ممثلاً لجبهة التحرير الجزائرية في الكويت، وكان أبو عمار وأبو جهاد من أنصار الجزائر،

وكانت بينهم وبينه علاقات خاصة في إقامة المهرجانات لحملات التبرع للتضامن مع الجزائر.

فجلسا على مقهى، وقال له أبو جهاد: أنني منذ ستة أشهر وأنا أحاول فتح مكتب لنا، ولكن الأخ بن بيلا يرفض، وكان لنا أمل كبير في فتحه.

إخواننا الجزائريون سند لنا، والأخ بن بيلا هو الذي قال: أن تحرير الجزائر سيبقى منقوصاً حتى يتم تحرير فلسطين.

وواضح أنها شعارات فقط، ولا يوجد دعم حقيقي، وأخرج مفاتيح المكتب وقال للسعدي: هذه هي مفاتيح المكتب، سلمها لابن بيلا.

تأثر السعدي كثيراً وأخذ المفاتيح، وأبو جهاد غادر إلى المطار. قابل السعدي بن بيلا، وسأله لماذا يتصرف مع هؤلاء المناضلين الفلسطينيين هكذا؟

وقال لابن بيلا: هؤلاء مناضلون، أنا أعرفهم وأثق بهم.

فقال له: اذاً على مسؤوليتك، ليفتحوا المكتب.

فأجابه: لكن الرجل غادر إلى المطار.

قال: سنعيده.

وفعلاً اتصلت الرئاسة بالأمن والشرطة الجزائرية، وأعادوا أبو جهاد، وتم فتح المكتب.

بعد اطمئنانه على المكتب واستقرار الأمور، وإقامته في الجزائر، أرسل لي بأن الحق به.

فتح المكتب أبوابه لمساعدة الفلسطينيين القادمين للدراسة أو العمل، وخاصة في التحاق طلاب فلسطين في الجامعات الجزائرية، وإيجاد فرص عمل في سلك التعليم للحاصلين على شهادات، للعمل في خطة التعريب التي بدأت بها الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال.

بالصدفة وصل أحد أقاربنا من غزة، وذهب إلى المكتب، ورأى أبو جهاد، اندهش من الاسم، فهذا خليل الوزير، وسأله: أنت خليل الوزير؟

فرد أبو جهاد: لا، أنا اسمي علال بن عمار.

كتب الشاب رسالة إلى والدته، بأنه التقى بخليل الوزير في الجزائر، ومع الأسف، أنكر شخصيته، وكان شبه اتهام بأن أبو جهاد تخلى عن (أصله).

كنت لا أزال في غزة، فحضرت قريبتنا، حاملة رسالة ولدها، وقرأت الرسالة أمام العائلة.

وبدأت الأسئلة، أين أبو جهاد؟ قلت: غير صحيح، خليل في بيروت.

بعدها سافرت إلى الجزائر ومعي جهاد الذي بلغ عمره ستة أشهر، وجدت أن الأخوة في الكويت قد باعوا لنا عفش البيت، وأرسلوا رواتب أبو جهاد المستحقة له، لكن الوضع المالي صفر، فأبو جهاد تصرف بكل المبلغ الذي وصله من الكويت، صرفها على الوافدين وآخرين، ففعلاً الحالة صفر، وأصبح وضعنا بوجود الطفل مختلفاً، فهو يحتاج إلى مصروف، وملابس، وحليب، رأيت الشهيد منير يأخذ طلبات للعمل، فأعطيته شهادتي داخل مظروف، وقدمت طلباً للعمل. أخذ منير الشهادة والمغلف، وكنت أول امرأة فلسطينية تطلب عملاً، وبالتالي قبل طلبي فوراً، بسبب أني الفلسطينية الوحيدة التي قدمت طلباً.

جاء منير فرحاً بالموافقة، وبأنه وظفني، وكان أبو جهاد موجود، فرفض وغضب، وقال لي: لا يمكن أن تعملي، أمامك ستين طلباً لشباب ينتظرون العمل، قبل أن يتوظفوا جميعهم فلا يمكن أن تعملي، وأخذ الاوراق ووضعها في الدرج، وأغلق عليها بالمفتاح.

وفعلاً عندما توظف كل من كان قبلي، وتوزعوا على الولايات(المحافظات) الجزائرية، جاءت الفرصة.

في صباح أحد الأيام قال لي: تعالي معي، سألته: إلى أين؟

قال: سآخذك مشوار.

خرجنا، ومشينا، وركبنا حوالي ثلاث محطات للباصات، لنصل إلى منطقة (بلكور).

وهناك قال لي: هذه مدرستك، وستعملين فيها منذ الغد.

قلت: يعني انتهى الحصار، وفعلاً بدأت العمل، وكان في الحقيقة ممتعاً، رغم المسافات والمواصلات. عشنا في الجزائر حتى منتصف سنة ١٩٦٥. ثم ذهبنا إلى بيروت، ولكن مرحلة الجزائر كانت من أهم المراحل في حياة الثورة الفلسطينية، هذا ما يجب التأكيد عليه، وقد وضع أبو جهاد كل جهده وهدفه، بأن تكون أرض الجزائر، أرضاً صلبة للحركة تقف عليها لدعم الكفاح المسلح، لقد استغل وجوده هناك بإقامة معسكرات التدريب، التي كان يأتي إليها شباب التنظيم من كل الأماكن، وطبعاً بمساعدة الأخوة الجزائريين، الذين فتحوا لنا هذه المعسكرات، في (شرشال) و (الأكاديمية العسكرية).

وأول ضباط تخرجوا، كانوا من معسكرات الجزائر.

واستطاع في الجزائر، ربط علاقات وثيقة ليس مع القيادات فقط، بل مع جبهة التحرير، والحكومة، والرئيس بن بيلا، والرئيس الحالي عبد العزيز بوتفليقة، الذي كان صديقاً عزيزاً لنا، ثم مع حركات التحرر في العالم، فلقد فتحت الجزائر أبوابها لهذه الحركات، فأفريقيا لم تكن قد تحررت، فكانت كل حركات التحرر الأفريقية موجودة، وكذلك الآسيوية، وأميركا اللاتينية، جميعها كان لها مكاتب

في الجزائر، وجميعها أقمنا معها علاقات جيدة، حتى الصين، وفيتنام، وكوريا.

ثم ذهب أبو جهاد إلى الصين سنة ١٩٦٤ بدعوة من الرفاق الصينيين، واصطحب معه أبو عمار، وكان أبو جهاد رئيساً للوفد، واستقبلوا استقبالاً رسمياً وأقيمت على شرفهم مهرجانات تضامن لصالح قضية الشعب الفلسطيني، وكانا أول فلسطينيين من الحركة يزوران الصين رسمياً.

يومها أعلن (شو إن لاي) أنه لا يعترف بإسرائيل، لا اليوم، ولا غداً، ولا بعد مئة عام.

وعاد أبو عمار إلى الكويت، وبقي أبو جهاد في الصين والذي أكمل جولته في فيتنام، وكوريا، ودرس تجاربهما بشكل عميق، واستغرقت رحلته في تلك الجولة ثلاثة أشهر.

كنت لا أزال في الجزائر، وكان معي الأخ محمد أبو ميزر، واحمد وافي، وكان التحريض علينا في ذلك الوقت من قبل السفارة المصرية مستمراً.

العودة من الجزائر للانطلاقة

تشكلت منظمة التحرير سنة ١٩٦٤ بدعم مصري، وقام الأخ احمد الشقيري بجولة على الدول العربية، من أجل لقاء الجاليات، والتجمعات الفلسطينية، وليختار من سيشارك في المجلس الوطني من شخصيات فلسطينية. ليكونوا ممثلين لهذه التجمعات والجاليات.

وطبعاً وصل في جولته إلى الجزائر، وقابله فيها أبو عمار وأبو جهاد وزهير العلمي، وحاولوا إقناعة بالتعاون مع حركة فتح، وعدهم بذلك، ولكنه لم يلتزم.

ذهب أبو جهاد لحضور المجلس الوطني الذي انعقد في القدس، وتحدث عن علاقة الفلسطينيين مع الصين، وكوريا، وفيتنام، وحركات التحرر في العالم ومساندتهم لنا، بل ساهم أيضاً في ربط لقاءات وعلاقات بين بعض الدول العربية وهذه القوى، وقام بعمل سلسلة من اللقاءات في هذا الاتجاه، عبر المجلات، والمقابلات الصحافية، والإذاعات العربية. مسلطاً الضوء على أهمية العلاقة مع الصين.

كان أبو عمار يزورنا في الجزائر باستمرار، وفي إحدى الزيارات، كنا في لجنة الإقليم، وكنت عضواً في هذه اللجنة، كان فيها احمد وافي، أبو ميزر، أبو صبري، أبو علي إياد، عبد الكريم العكلوك وبالطبع أبو جهاد.

اجتمع معنا أبو عمار، وناقشنا معه كثيراً من القضايا، ثم بعد ذلك بدأ يتحدث، عن الخلاف الدائر في الكويت حول الانطلاقة، كان أبو جهاد مع الانطلاقة دون تأخير، وكان موقفه حاسماً في هذا الموضوع، وكنت أنا أيضاً مع أن نبدأ، فلقد كان من المقرر أن تكون انطلاقة الحركة سنة ١٩٦٤ وها هي تمتد إلى ١٩٦٥.

غادر أبو جهاد الجزائر إلى الكويت، وحضر الاجتماعات الحاسمة التي تمت فيها الانقسامات، وأصبح في الحركة تياران، تيار البدء بالانطلاقة – وتيار التأجيل الذي كان يقوده، عادل عبد الكريم وعبد الله الدنان، وكانت وجهة نظرهم، أننا نحتاج إلى استعداد أكثر وسلاح وبعدها ننطلق.

أما أبو عمار وأبو جهاد فكان موقفهما واضحاً، المال، والسلاح، غير متوفرين، وعلينا أن ننطلق بالإمكانيات الموجودة لدينا الآن، وإذا نجحنا، فسيأتي السلاح وسنحضر المال.

بقينا في الجزائر ننتظر البريد بقلق، لم تكن الفضائيات موجودة، ولا التلفزيونات، كل شيء كان يأتينا عبر البريد، كنا نذهب مشياً إلى مقر البريد، نحضره ونجلس على مقهى، ونقوم بقراءته، يومها وصلنا البيان الأول، عرفنا من البيان عن العملية الأولى.

وفي نفس الفترة، أرسل أحمد الشقيري محمد عودة لاستلام مكتب منظمة التحرير وليكون سفيراً لفلسطين في الجزائر، بدلاً من تثبيت أبو جهاد مسؤولاً للمكتب.

تعامل أبو جهاد مع الموضوع بعقلانية، وقال : ليس من المنطق أن يكون لفلسطين مكتبان، ممثلان في الجزائر، فقام بتسليم المكتب لمحمد عودة، وسافرنا إلى بيروت.

أقمت في بيروت، وكان أبو عمار وأبو جهاد في دمشق، لكنهما يأتيان بشكل دائم إلى بيروت.

يحضران معهم مسودة البيانات، فأقوم بطبعها على ورق الحرير، ثم نسخه على (ستانسل)، ونطويه ونضعه في مغلفات، ونكتب عليها العناوين، ونضع الطوابع، ثم نحمل المغلفات ونذهب لإيداعها في صندوق البريد، كان البريد في ساحة البرج وسط بيروت.

في احدى المرات، حوالي الساعة الواحدة ليلاً، حملنا المغلفات وذهبنا لوضعها في البريد، ركبنا سيارة أبو عمار (الفوكس فاغن) الصغيرة، وكانت المظاريف في يدي، ونزلنا الثلاثة من السيارة باتجاه صندوق البريد، وقبل أن نصل فوجئنا بشرطي قادم، وكان وضعنا في هذا الوقت غير طبيعي، ثلاثة، ونحمل مظاريف.

أحسست بالخوف، وبدأت أرتجف، فتصرف أبو عمار فوراً، أخذ المظاريف من يدي وأسقطها بسرعة في صندوق البريد، وعندما وصلنا الشرطي، انطلقت بديهة أبو عمار.

قال للشرطي: هذا أخي وخطيبته، ونحن نوزع بطاقات الفرح، تفضل وشرفنا (بعاليه)، الساعة الثامنة، يوم كذا...

وفتح حديثاً مع الشرطي، ووعده الشرطي بأن يأتي ويحضر العرس.

وعدنا إلى السيارة نضحك.

الخلاف في دمشق

بقيت فترة مقيمة في بيروت، وأبو جهاد وأبو عمار في دمشق معظم الوقت، كان يأتي إلينا في بيروت أبو يوسف النجار، أحمد الأطرش، زهير العلمي، خالد اليشرطي، زكريا عبد الرحيم، هؤلاء أكثر الأخوة الذين كانوا يترددون بشكل دائم، وكنت في البيت، النقطة المركزية للتواصل بينهم وبين القيادة، كنت أعطيهم التعليمات التي يضعها لدي أبو عمار وأبو جهاد، وأنقل للقيادة تقاريرهم، وأذكر آخر أخ جاء إلى البيت وأخذ مني الأوراق أحمد الأطرش.

كان أبو جهاد في أوروبا، ذهب في مهمة للقاء المحامي (جاك بيرجس) لمحاولة تكليفه بتولي الدفاع عن محمود بكر حجازي، فذهب إلى المغرب، تونس، والجزائر للتجنيد لهذه الحملة، وأثناء سفره في تلك المهمة، جاءني أبو عمار فجأة مبكراً، حوالي العاشرة صباحاً، وطلب مني بسرعة أن أحضر الأولاد وأذهب معه، ودخل وأنزل حقيبة من فوق الخزانة، وبدأ يضع فيها ملابس الأولاد، وطلب مني ان احضر جواز سفري، وحملنا الأولاد والحقيبة، وركبنا السيارة، كان معي جهاد والمرحوم نضال، وكلما سألته: إلى أين ذاهبون؟ يرد: انتظري.

كان طوال الطريق يقرأ آيات من القرآن الكريم، وأدركت من الطريق، أننا ذاهبون باتجاه دمشق، لم يتكلم، وبدأت أفكر بقلق، هل حدث شيء لأبو جهاد؟

وعندما قطعنا الأراضي اللبنانية، ودخلنا الحدود السورية، قال: أشهد أن لا إله إلا الله.

قلت له: أفهمني الموضوع؟

قال لي: لقد اعتقلوا أحمد الأطرش، وكان الاعتقال من قبل المكتب الثاني، المشهور بالضرب، والتعذيب...إلخ.

وأكمل : خفنا أن يعترف عليك، فقررنا إحضارك إلى الشام.

عاد أبو جهاد إلى بيروت فلم يجدني، فلحق بنا إلى الشام، ولكنه واصل ذهابه إلى بيروت.

أقمت في الشام، وكنا لا نزال قلقين من اعتراف أحمد، كانت هذه الأحداث سنة ١٩٦٦.

ثم ظهر خلاف داخل اللجنة المركزية في الكويت، وقبل ذلك كانوا قد اجتمعوا في دمشق بحضور عادل عبد الكريم، وعبد الله الدنان، ومحمود فلاحة، في ذلك الاجتماع، كان الإحساس بوجود أزمة ملموسة داخل اللجنة المركزية، والسبب الأساسي للأزمة، أن عادل عبد الكريم، يريد تعيين يوسف عرابي، قائداً لقوات العاصفة، بدل أبو عمار، وهذا غير جائز في نظام الحركة.

فيوسف عرابي، بعثي معروف، ينتمي إلى الحزب ولم يتخلى عن حزبيته، وكان نصيراً لفتح، يساعد

أبو عمار، وأبو جهاد، وهو شخص مناضل.

انتهت إجازتهم السنوية وعادوا إلى الكويت، لكن الأحداث بدأت تتسارع، في اجتماع دمشق، رفض اقتراح عادل عبد الكريم بأن يكون يوسف عرابي مكان أبو عمار.

بعد أيام فوجئت القيادة في دمشق، أن اللجنة المركزية أرسلت رسالة من الكويت مع (مختار بعبع) و(الحاج صبري) إلى يوسف عرابي، دون أن تمر على أبو عمار وأبو جهاد بقرار تعيين يوسف عرابي، طبعاً يوسف عرابي، قبل المنصب بأن يكون قائدا لقوات العاصفة، وبدأ باتخاذ إجراءات فيها تحدٍ، قام بعملية السيطرة على الهامة، ومكتب الحركة في دمشق، وقام بخطف (وليد أبو شعبان) وألقاه في منطقة خارج الهامة (ميسلون) بعد أن أطلق الرصاص تحت قدميه للتخويف.

قبل المغرب، بدأ شباب الحركة بالمرور على بيتنا، للسؤال عن أبو عمار وأبو جهاد، اللذين كانا خارج البيت، ولم يكن لدينا تلفون في البيت للاتصال بهما، أذكر الساعة السابعة مساءً، جاء إلى البيت (محمد حشمة) وهو رائد في فتح، وكان بعثياً عراقياً، لكنه جمد حزبيته عندما انتمى لحركة فتح، سألني: هل أنت وحدك؟

قلت: نعم، قال: إذن سأبقى عندك لأني أخشى أن يأتي يوسف عرابي إلى هنا.

كانت قد وصلت إلى الحركة طائرة تحمل أول حمولة من السلاح، وقام الشباب بتخزين الحمولة عندنا في البيت، من الأرض إلى السقف، صناديق ذخيرة وأسلحة، خاف (محمد حشمة) أن يأتي يوسف عرابي لأخذ السلاح والسيطرة عليه.

وكان (محمد حشمة) على علاقة متوترة مع يوسف عرابي من قبل، زادتها الأزمة توتراً، فبدأ يهدد ويتوعد، إذا حضر يوسف عرابي إلى هنا، شعرت أن معركة ستدور في البيت إذا جاء عرابي، ولو حصلت هذه المعركة وأنا موجودة، وأبو جهاد غير موجود، فلن تُفهم الأمور بأنها اختلاف سياسي وتنظيمي، فثمة امرأة وحدها في البيت، وهناك مشاجرة بين رجلين، أحسست بانزعاج حقيقي من وجود (محمد حشمة) واحتمال حضور (يوسف عرابي).

أصبحت الساعة التاسعة مساءً. ولم يحضر أحد، لا يوسف ولا أبو جهاد ولا أبو عمار، أحس هو بطول الوقت، فسألني: أم جهاد أتخافين إذا تركتك وحدك؟

قلت له بشجاعة: لا ، الله يسهل عليك.

قال : أنه يريد أن يذهب ليرى أين وصلت الأمور، ويطمئن على مكان أبو عمار وأبو جهاد ثم يعود، المهم، ذهب (محمد حشمة)، ولم يعد.

الساعة الحادية عشرة ليلاً، حضر أبو علي إياد، قال لي بطريقته الهادئة، كنت عند الشباب في بيت أبو عمار، وجدتهم يتعشون، وسألتهم: تاركين أم جهاد وحدها؟

أكملوا عشاءكم، وأنا سأذهب عند الأخت أم جهاد.

جلسنا على البلكونة، ننتظر أبو جهاد وأبو عمار، حتى الساعة الرابعة صباحاً، في هذا الوقت، وقف تكسي أمام البيت ونزل منه أبو عمار وأبو جهاد، دخل أبو عمار والدموع في عينيه وقال : البقية في حياتكم.

سألنا: بمن ؟

قال: يوسف عرابي، ومحمد حشمة.

طبعاً وتحدث بما جرى، كانت مجموعة من الشباب تقيم في البيت مع أبو عمار، وكان منهم عبد الكريم العكلوك، وزكريا عبد الرحيم، ووليد أبو شعبان، وهم الذين تركهم أبو علي إياد يتعشون على طاولة منخفضة، يجلسون على الأرض، دخل يوسف عرابي ومعه أربعة أشخاص، وبدأ التهجم على الجالسين، كان محمد حشمة يجلس على الأرض، ويوسف عرابي ظل واقفاً .

بدأ تلاسن حاد بين الاثنين، فأخرج يوسف عرابي مسدسه وأطلق الرصاص على محمد حشمة. رد محمد حشمة عليه، لكن الرصاصات التي أطلقها يوسف كانت قاتلة فقتل محمد حشمة.

كان زكريا عبد الرحيم في المطبخ يقوم بعمل الشاي، وجاء يحمل إبريق الشاي، قبل وصوله عند الشباب كان يوسف عرابي قد دخل (وعبد الزغموت) في غرفة أخرى في البيت (توفي مؤخراً في السجون السورية) جاء على صوت إطلاق النار، فلما رأى محمد حشمة ويوسف عرابي ومن معه، قام بإطلاق النار على يوسف عرابي، فقتله على الفور.

لم يكن أبو عمار وأبو جهاد في البيت، كانا عند أحد رجال المخابرات السورية، لا أذكر أسمه، وكانا في محاولة لإقناع المخابرات السورية بحل الموضوع حتى لا تتسع الخلافات، وطلبا إبعاد يوسف عرابي عن حركة فتح.

عندما بدأ إطلاق النار سمعا الصوت هما ومسؤول المخابرات السورية، فقد كان البيت قريباً من مقر قائد المخابرات في (المزرعة)، أبو عمار قال فوراً: يا لطيف.

وطبعاً ذهبا إلى البيت فوجدا، يوسف عرابي ، ومحمد حشمة، قد استشهدا، كان الوقع مؤثراً وصعباً علينا، وأخذت المخابرات السورية أبو عمار إلى الحجز الاحترازي.

الشباب انشغلوا في إجراءات الجنازة ومراسيم العزاء، لكن التحريض بدأ ، وخاصة من أحمد جبريل الذي كان قد انضم الى حركة فتح، وكان عضواً في المجلس العسكري للقيادة العامة، بدأ يحرض ضد

ياسر عرفات ويتهمه بأنه وراء قتل يوسف عرابي وهو الذي تآمر، وأعطى أمراً بالقتل.

حجز السوريون أبو عمار من اليوم الأول للحادثة، وبعد أربعة أيام، أخذوا أبو جهاد من البيت. كنت أعمل قهوة، عندما قرع جرس الباب، كان عند أبو جهاد (كمال كعوش)، شقيق (جلال كعوش)، فذهبت لأفتح الباب، وجدت رجلاً لا أعرفه، سألني إن كان أبو جهاد في البيت؟

دون أن أسأله من هو قلت: نعم، ودخلت وقلت لأبو جهاد: أن رجلاً في الباب يريدك، أحضرت القهوة، فوجدت كمال جالساً وحده، سألته: أين أبو جهاد؟

قال: أنت ناديت عليه، ذهبت أفتش في البيت، لم أجده، قلت لكمال: أبو جهاد غير موجود في البيت، نزلت إلى الشارع، سألت أولاد الجيران، قالوا لي: ركب سيارة مرسيدس وذهب.

الذي حصل أن الرجل كان من المخابرات السورية، ولم يعد إلينا أبو جهاد ليقول أنه ذاهب معه وأنه مخابرات.

ذهبنا للمخابرات نسأل، كنا متأكدين أنهم مخابرات، فأنكروا. قالوا: غير موجود لدينا.

سألنا كل أجهزة الأمن في سوريا، فكانت الإجابة، أنه غير موجود لدينا.

زاد القلق، ووضعنا احتمالات، خطف، قتل واستمرينا في البحث والسؤال أسبوعاً كاملاً، لم نعرف أين يمكن أن يوجد، وما الذي حصل؟

كان يسكن جوارنا مسؤول في الجيش السوري، فذهبت إليه، كان قائداً كبيراً في الجيش.

قال لي: أمكثي هنا عند زوجتي، وسأذهب أسأل، وسأخبرك.

بعد نصف ساعة اتصل بنا في بيته، وقال لي: إن أبو جهاد موجود لدى الشرطة العسكرية.وأنه عمل لي تصريح زيارة، وبإمكاني الذهاب فوراً للشرطة ورؤية أبو جهاد لأطمئن عليه.

ذهبت فوراً إلى الشرطة، وقابلت المسؤول فنادى جندياً وقال له: أدخل المدام عند المحجوزين.

فتح لي الباب ودخلت، فإذا الجميع هناك في الغرفة، أبو عمار، أبو جهاد، أبو صبري، أبو العبد العكلوك، زكريا عبد الرحيم، وليد أبو شعبان، كل الشباب، كانوا حوالي ثلاثين أخاً، عندما رأوني تجمعوا حولي، وأنا تحت وطأة ذهول من المفاجأة وهم يمطرونني أسئلة: ماذا فعلتم لنا؟ بمن اتصلتم؟ ...إلخ.

أبو عمار وأبو جهاد قالا لي: الآن ليس خارج السجن غيرك، أنت القائد العام لقوات العاصفة، والمطلوب القيام بعمليات عسكرية، ثم نريد نشاطاً سياسياً وتحركاً جماهيرياً.

قال لي أبو عمار: اختاري لك اثنين يا أختي يساعدونك، تثقين بهم، وترتاحين إليهم. عدت واخترت

أبو علي إياد، وأحمد الأطرش، وبالفعل شكلنا الثلاثة لجنة قيادية، وبدأنا نعمل، استلما هما القضايا العسكرية، ثم كنا مع بعضنا نكتب بيانات ونطبعها، ونقوم بتوزيعها على وسائل الإعلام، وبين جماهيرنا، نشطت حركة في التنظيم، لفتت أنظار السوريين، وأربكتهم، القيادة بأكملها في السجن، وعلى الساحة في الخارج، حركة، وإعلام، وعمليات، إذن هؤلاء الناس لهم قوة على الأرض.

سُمح لي الزيارة كل أسبوع، كنت أذهب وأحمل معي الطعام والسجائر والملابس، ثم منعت في احدى الزيارات من مقابلتهم.

عدنا نسأل أصدقاءنا من القيادات السورية، وأخذت موعداً مع أحدهم لأقابله، في بيت أحد الاخوة، فأخبرني بوضعهم الحالي، وكانت المعلومات، مقلقة، ومزعجة، للغاية.

قال لي: إن المخابرات السورية قامت بنقلهم إلى سجن(ضمير)، منذ حوالي ١٨ يوماً.

وحالياً هم مضربون عن الطعام، وسيقدمونهم إلى محكمة مدنية جنائية، وهذه المحكمة إن حكمتهم بتهمة التحريض على القتل، فهذه تهمة كبيرة، يمكن أن يذهبوا فيها جميعهم.

أصبح الوضع مربكاً للغاية، وخطراً، كنت قد تركت في البيت، أبو علي أياد، واحمد الاطراش، فقبل خروجي لمقابلة هذا الأخ، جاءا إلى البيت، وسألاني: أين سأذهب، أخبرتهم، عند فلان، قالوا: ولماذا ستأخذين الأولاد معك؟ قلت: أخشى أن أتأخر، طلبوا مني أن اترك الأولاد عندهما، وسينتظرون عودتي في بيتنا.

أثناء نقاشنا، نضال ابني (الصغير نام، حملته وأنمته على السرير، ونزلت من البيت، ثلاثة، أو أربع درجات فقط، ورجعت إلى البيت، قرعت الجرس، سألوني: لماذا عدتِ؟

قلت: أريد أن أغلق الاباجور، حتى إذا استيقظ نضال، لا يخرج إلى البلكونة. كان أبو جهاد دائماً يقول لي: ابنك نضال كثير الحركة، ونشيط، خذي بالك منه، أخشى أن يقع من البلكونة، وتحمليه إلى الطبيب، ويموت.

كنت أستفز من تصوراته هذه، وأرد عليه: الله لا يقدر، لا تحكي هذا الكلام، يرد: أنا أنبهك، لكن هذا الولد زائد الحركة والنشاط.

لما رجعت، كان احمد الاطراش وأبو علي إياد على البلكونة، فتركا المقاعد وأسرعا لرؤيتي، دخلا الغرفة، ودخلت أنا من الباب الثاني، فأصبحنا في منتصف الغرفة أنا وهما، كانا قلقين جداً وفي انتظار معرفة الأخبار، وطبعاً الأخبار سيئة، فبدأنا في نقاش الوضع، ونحن نتناقش كان نضال يشد في، ماما بدي اشرب. ماما اشرب أحضرت له كوب ماء، شرب ثم كسر الكوب، انتشر الزجاج في كل مكان، وانكب الماء، وبدأ يلعب في الزجاج المكسور أخذته، ونظفت ملابسه، ويديه من الزجاج، وأجلسته

على طرف السرير، ثم بدأت ألم الزجاج المتناثر عن الأرض، وأنا أضعه في المجرود، دق جرس الباب، ركضت افتح، فقالوا لي: أبنك وقع من البلكونة.

نزلنا نركض، وقفز الشباب وأخرجوه من القبو، حيث وقع، وطلعناه، وذهبنا إلى الطبيب الذي طلب لنا الإسعاف فوراً، وحين وصلنا المستشفى كان نضال قد مات.

ماذا يجب أن نعمل؟.. ذهبت إلى صديقة لنا، موظفة في وزارة الخارجية أسمها سعاد عبدالله، وجدت عندها في المكتب أناساً، جلست دقائق ثم طلبت أن أتحث معها على انفراد، خرجنا من الغرفة وقلت لها كل ما حصل، وأنني أريد أبو جهاد ليقوم بدفن الولد.

اكتشفت أن لديهم قانوناً في حالة الموت، إذا كان قريب الميت من الدرجة الأولى وكان في السجن، يخرجونه لمدة ثلاثة أيام، عدت إلى بيت محمود الخالدي وزوجته، اللذين كانا قد جاءا وأخذوني إلى بيتهم بعد الحادثة، وكان الخالدي ممثل منظمة التحرير في دمشق، جلست في بيتهم انتظر أبو جهاد، وفعلاً جاء، دخل، كان وضعي غير طبيعي، فسألني: ما بك؟ في البداية قلت: لا شيء.

سأل: هل حصل لجهاد شيء قلت لا.

قال: نضال؟

قلت: نعم، حدث ما كنت تتوقعه دائماً، الذي تصورته هو الذي حدث.

سألني: كيف هو؟

قلت: الله يرحمه.

كانت ردة فعله كتومة، احتضنني، وقال لي: معلش حبيبتي، إن شاء الله نجيب غيره.

دخلنا البيت، واستيقظ أصحاب البيت، وبدأ الحديث عن الوضع، السجن، وإضراب الاخوان، والتهم، والإضراب عن الطعام.

طلب صحن من الشوربا، فذهبت أنا وزوجة الخالدي إلى المطبخ.

قالت لي: لا تخبريه الآن، اتركي الموضوع حتى الصباح.

أخبرتها، أنه عرف من لحظة حضوره، ولكنه لا يزال يعيش تحت تأثير السجن والوضع الذي يمر به.

طبعاً استمر الحديث عن كيفية العمل لاخراج الشباب من السجن، وانصب كل الاهتمام على حل مشكلة القيادة، وماذا يجب أن يفعل للإفراج عنهم.

في اليوم الثاني، عدنا إلى بيتنا، وذهب ودفن نضال، وعندما عاد بكى بتأثر كبير.

لكن الأحداث لم تعطِ وقتاً للعواطف الشخصية، ووضع الثورة ككل على حافة الضياع.

وكان الحديث عن هذا الوضع بينه وبين المعزين، وليس عن موت الولد.

وضع الاخوان فقط، المشكلة التي حدثت، مبرراتها، ونتائجها، والتعذيب في السجن، وبراءتهم من التهمه الموجهة لفتح كلها، والخلل الذي أحدثه الاخوان الذين كانوا أعضاء لجنة المركزية، ووقعوا على قرار تعيين يوسف عرابي وحدهم، وفصلهم أبو عمار من موقعه.

في اليوم الثاني، طلب مني أن أذهب معه، أين؟ فإذا بنا عند وزير الدفاع، كان وقتها، حافظ الأسد، فشرح أبو جهاد للأسد كل ما حصل من ملابسات، بالتفصيل، وأمانة وللحقيقة في تلك اللحظة، اقتنع الأسد بما قاله أبو جهاد، وأخبره بالطبع أن سبب خروجه من السجن ثلاثة أيام، لدفن نضال، وأثرت في الأسد قصة موت نضال.

وكان جوابه، سأمدد لك ثلاثة أيام أخرى، وفي هذه الأيام الثلاثة أذهب إلى احمد سويداني، وإلى وزير الخارجية، وإلى وزير الداخلية، وإلى الوزراء جميعهم، لإقناع القيادة السورية أن ما حدث، لا علاقة لكم فيه، وأنكم أبرياء.

وبالفعل، كان كل وزير يقوم بتمديد ثلاثة أيام لبقائه خارج السجن، يتصلون بالشرطة، أن دعوا خليل الوزير خارج السجن، نحن نريده خارج السجن.

وبالفعل مع الاتصالات التي شملت كل الشخصيات والأجهزة، ودولاً عربية مثل السعودية والجزائر، وكل من له علاقة جيدة مع سوريا، استمرت شهرين، خرج أولا الأخ أبو عمار، ثم باقي الاخوة، ما عدا اثنين، أبو العبد العكلوك، وزكريا عبد الرحيم، اللذان امضياً مدة سنتين في السجن ثم خرجا بعد أن برأتهما المحكمة، وطبعاً بقي الزغموت الذي حكم بالمؤبد.

شهادة الأخ عبد الحميد القدسي

أبوعمّار يدخل في دورية عسكرية الى الأرض المحتلة بعد نكسة حزيران

بعد أن تم تحضير القواعد في الأرض المحتلة، واستيعاب أكبر عدد ممكن من المجموعات الفدائية في الداخل، كذلك وجود عدد لا بأس به من الشباب الفلسطيني المتدرب، وأيضاً في نفس الوقت أصبح لدينا مخزون، نسبي جيد من السلاح والعتاد والمتفجرات، كذلك ان لا نبقى رهائن، ملتزمين بقرارات البعض من الأنظمة العربية، بعدم البدء في الكفاح المسلح من جديد، وخاصة النظام القائم آنذاك الذي كان يضغط باتجاه التريث والتأجيل، وأن علينا ان ننتظر لنستعد نحن والفصائل الأخرى معاً للانطلاقة، كذلك كان لنا سبب آخر لأن نبدأ انطلاقتنا الثانية، رسمياً، ان الاحتلال لم يكن قد ضبط آلية التعامل مع الأرض التي احتلها، ولا مع الناس، وكان شعبنا فوق كل ذلك يحتاج إلى أية بارقة أمل ليخرج من الإحباط وآثار الهزيمة، فكان الرأي بيننا أن يذهب أحد الاخوة من القادة للعمل داخل الأرض المحتلة، وكان ثمة وجهتا نظر في اختيار الشخص الذي سيذهب، وجهة نظر ان ينزل الأخ أبو جهاد (رحمه الله) والثانية، الأخ أبو عمار (رحمه الله)، ولكن لظروف موضوعية، كان الأخ أبو جهاد يعيشها في تلك الفترة، وهي فقدان طفله نضال في حادثة، فآثرت اللجنة المركزية أن يبقى الأخ أبو جهاد في دمشق، وأن يذهب الأخ أبو عمار، وقالوا: غير المتزوج ،وليس لديه التزامات، بينما ظروف الأخ أبو جهاد صعبة، ولمحبتنا لهذا الرجل، ولظروفه في تلك الفترة أقنعنا أبو جهاد بالبقاء، ومعنوياً في نفس الوقت، سترسل فتح أعلى مرتبة لديها، أو المستوى الأعلى فيها، الأخ أبو عمار، فعلما أنّ الكل سواسية.

كانت الدورية الأولى بعد النكسة في ١٩٦٧/٧/٢٦، تحركنا من دمشق مع الأخ أبوعمّار في سيارة الأخ الحاج سيد، وهو أخ فاضل وكريم، كان هذا الأخ مسؤولاً عن النقل والتسليح وكذلك كان سائق السيارة الوحيدة (لاندروفر) التي تمتلكها الحركة وقد سمي تحببا بالحاج كرنك، نسبة إلى ذهابه لفريضة الحج بمهمة عمل، وهناك استغلها وقام بأداء مناسك الحج، كان رجلاً بسيطاً، وديناميكياً، وجريئاً جداً، ولا أحد يعرف، كيف يسير (الحاج كرنك) في مثل هذه الطريق، كان يعرفها كلها وبشكل مميز.

قام (الحاج كرنك) بنقلنا من دمشق إلى منطقة الحمراء، داخل الحدود الأردنية، حيث كانت تتواجد قيادة القوات العراقية في نفس المنطقة.

كان عددنا في الدورية ١٤ شخصاً، في مقدمتهم الأخ أبو عمار (رحمه الله) والأخ عمر أبو ليلى (مجاهد)

(رحمه الله)، الذي كان خريج كلية عسكرية في العراق وبرتبة ضابط، ويعود ذلك للحاج أمين الحسيني (رحمه الله) فقد طلب من عبد الكريم قاسم، أن يكون للفلسطينيين في كل دورة عسكرية عراقية عدد من الشباب الفلسطيني، لإعدادهم ومشاركتهم في معركة التحرير مستقبلاً. وهكذا، كان الأخ مجاهد أحد هؤلاء الشباب الذين درسوا في الأكاديمية العراقية العلوم العسكرية، ضمن تلك الاتفاقية، وتخرج برتبة ضابط، وخدم في القوات العراقية، وتميز كضابط يتقن فن القتال، بشكل عالي المستوى كما استطاع بناء علاقات متميزة مع الكثير من ضباط الجيش العراقي.

وكان معنا في الدورية أيضاً الأخ أبو علي المدني (رحمه الله)، وهو الآخر قادم من كتيبة الفدائيين، التابعة لسوريا والتي أنشأها الجيش السوري. وكان معنا الأخ (الضبع) وهو أيضاً من كتيبة ٨١ أي نفس الكتيبة الفدائية، وكان معنا الأخ عبد العزيز شاهين(أبو علي شاهين)، وأخ اسمه عبد الإله، من عتيل أو علار، استشهد فيما بعد، المهم كنا ١٤ شخصاً.

كنت قد تعرفت على الاخوة العراقيين من قبل، فنزلت ونزل مجاهد معي لمعرفته هو الآخر ببعض الضباط العراقيين المتواجدين في الموقع، وطبعاً قمنا بتعريف قائد المنطقة على الأخ أبو عمار، الذي لم يكن معروفاً لهم بعد.

وقمنا أيضاً بوضع الأخ قائد الاستخبارات العسكرية العراقية في صورة وأهمية هذه الدورية، ولمس التفافنا حول الأخ أبو عمار، فقام بتجهيز كتاب مهمة إلى الأغوار، وأن نذهب تحت حراستهم، ومع سيارات مرافقة لنا من استخبارات القوات العراقية، وفعلاً أوصلونا إلى شمال الكريمة، وكان الوقت قبل الغروب مباشرة، فدخلنا، وعبرنا النهر.

كانت لدينا مجموعات في الأغوار، وفي مزرعة هناك كان لنا موقع استطلاع دائم، فبعد الاتصال بهم، أخبرونا أننا نستطيع العبور، وكنا ندخل إلى الأرض المحتلة عادة قبل المغرب بنصف ساعة، حتى لا نقع في أماكن الألغام التي يزرعها شبابنا، للدوريات الإسرائيلية، فدخلنا عبر مخاضه نهر الأردن، من منطقة (مرج نعجة) وأصبحنا داخل الأرض المحتلة.

كانت وجهتنا، الذهاب إلى قباطية، فقد كنا أنشأنا فيها شبه معسكر، وكانت قوتنا الحقيقية في الريف، وفي قباطية، في جبالها، قاعدة مركزية، فإذا نظرت إلى الجبال والمُغر في تلك المنطقة، فستجد أكثر من ٢٠٠ مسلح مع العتاد والمتفجرات.

لقد كانت أهم قوة مركزية لحركة فتح في فلسطين هي قاعدة جبال قباطية.

كان أفراد الدورية مسلحين، وكنت المدني الوحيد بينهم، ففي ذلك الوقت، كنت لا أزال، ضابطاً للارتباط، أو حلقة للوصل، وأقوم أيضاً بعملية تفويض سياسي.

كلفني الأخ أبو عماربقيادة الدورية، وأذكر بأمانة وبصدق للأخ أبو عمار، أنه كان أكثر كادر في المجموعة انضباطاً باختياره، وفي تلك الفترة لم تكن هناك أوامر، كانت تصدر تعليمات، علينا تنفيذها كل حسب مهمته. وكان لهذه المهمات قدسية عالية لدى كل كادر.

ونحن في الطريق كان الأخ مجاهد يتحزم بالعلم الفلسطيني، الذي جمعنا به أشلاء شهداء معسكر الهامة. كانت الطريق وعرة جداً، فاقترب مني وأخبرني أن العلم قد ضاع في الطريق، سقط عن خصره. فكما قلت كان يتحزم به، أنا شخصياً تشاءمت، ولكني لم أرغب في توسيع دائرة التشاؤم، فاتفقت مع مجاهد أن لا نخبر أحداً من أفراد الدورية بالموضوع، وسنحاول إيجاد علم آخر، رغم رمزية العلم المفقود، وارتباطه بالاخوة الذين استشهدوا، لكن مجاهد لم يستطع الصمت.

فذهب وأبلغ الأخ أبو عمار، فكان رد الأخ أبو عمار، عليك أن تعود إلى الطريق، الآن أنت وعبد الحميد، وترجعان بالعلم .امتثلنا للأمر، وعدنا نبحث، والله سهل لنا المهمة، فبعد ساعة من البحث استطعنا العثور عليه، وعدنا به.

وصلنا منطقة طوباس، ومكثنا هناك. وتصادف أن إحدى أخواتنا الفلسطينيات كانت تعمل في البيدر، في دراسة القمح، وكانت تتشاجر مع زوجها، وواضح من الصوت أن المشكلة بينهما كبيرة، فقام الأخ أبو عمار (بارك الله فيه) بالذهاب إليهما، وتدخل بعملية انتهت بالصلح بينهما، وبعد ذلك، دخل اثنان من أبنائها حركة فتح، كانت تلك المرأة متقدمة هي وزوجها في العمر، واستطاع أبو عمار بدماثته، وهدوئه، إعادة المياه إلى مجاريها.

كان نتيجة إصراره على التدخل في عملية الصلح هذه، أننا تأخرنا ٢٤ ساعة، وطلع علينا النهار، فمكثنا في منطقة غير آمنة، وكنا أربعة عشر فدائيامكشوفين ، وأنا المدني الوحيد بينهم، الذي يرتدي ملابس مدنية، والباقي كانوا مسلحين، ويرتدون الملابس العسكرية، وبقينا في تلك المنطقة الخطرة حتى المساء، تم تحركنا باتجاه الشمال، إلى منطقة الزبابدة، للوصول إلى قباطية، وبعد أن قطعنا الزبابدة، طلع علينا النهار، ونحن على مشارف الجبال الشرقية لقباطية، حيث يمتد (لسان) أو منطقة سهلية، لا يوجد بها أيضاً أي شيء يمكننا أن نتظلل به، أو نختفي تحته. جاءني مجاهد، وقال لي: ماذا سنفعل الآن؟

تطلعت في السهل، كان عدد من الأهالي، ذاهبين للعمل في مزارعهم، وكان علينا أن نقطع السهل باتجاه الجبال، وإذا تم ذلك سنصل إلى جبال قباطية الغربية، الموجودة فيها قواعدنا، فقلت له: علينا أن نسير، ونقطع السهل، ونكمل الطريق، فقال لي: وهؤلاء الناس؟

قلت: سنمشي بطريقة استعراضية.

قال: يا أخي هذا عسكرياً لا يجوز.

قلت له: ان مصيبتي، ومصيبتك، أنك تتعامل مع كل أمر بطريقتك ومفهومك، ومعرفتك العسكرية، وأنا لا أتعامل مع الموضوع بمفهوم عسكري، أنا لدي رؤية أخرى في هذا الأمر.

خشي مجاهد، أن أعطي المجموعة أمراً، كما طرحته عليه، فسارع إلى الأخ أبو عمار، قبل أن أعطي الأمر، وقال له: إنّ الأخ عبد الحميد، يريد منا، أن نسير أمام الناس بخطوات عسكرية استعراضية.

أبو عمار بذكائه، التقط الفكرة التي كانت في ذهني، وكنت قد وصلت إلى جانبه، فقال لي فوراً: أين تريدني أن أقف؟

وبالفعل، مررنا بطريقة عسكرية منظّمة أذهلت هؤلاء الناس، كان الوقت بداية طلوع النهار، الخامسة، أو الخامسة والنصف صباحاً، لكن الناس كانت تستطيع أن ترانا، وأن تندهش، وتسأل من نحن؟

ارتفعت المعنويات في نفس الوقت، واعتقد الأهالي، أننا لا يمكن أن نكون فقط بهذا العدد، وإنما ثمة أعداد أخرى غيرنا مرت، أو ستمر، وكنت قد طلبت من الأخوة من خلال معرفتي لطبيعة أهلنا، وعاداتهم، وبالذات، تجربتهم مع ثورة سنة ١٩٣٦، بأن نكون حريصين أن لا نستغل شعبنا، كما حصل مع البعض في ثورة سنة ١٩٣٦ باسم الثورة، وعانينا كثيراً من آثار تلك الأعمال للبعض فكان ذلك درسا لنا بأن لا نذهب إلى بيت أي أخ من شعبنا، لنطلب طعاماً أو أي شيء نحتاجه، حتى لو كنا في أشد الحاجة إليه، إنّ علينا أن نتعامل بأقل إمكانيات لدينا وبما يسد الرمق فقط، وعدم التفكير بالكسب من شعبنا.

لكن في نفس الوقت إذا عرضوا علينا الماءمثلا فيجب الاّ نرفض . وبالفعل أخذنا ماءً من الجميع، وقلنا لهم أننا أخوان لكم، وان شاء الله هذا الاحتلال سيزول، فالكثير من الأمور ستتغير، ولنا رجاء أن يعود كل واحد منكم إلى عمله، دون الانتباه إلينا، أو الجهة التي سنذهب إليها، وهذا من باب الحرص عليكم، وحتى لا تتعرضوا لأية مساءلة، وللسرية لنا أيضاً، وكانوا للحقيقة مثالاً لشعبنا الواعي، الحريص، المؤمن، عادوا إلى أعمالهم، واختفينا في الجبل، لنصل أخيرا إلى قواعدنا في قباطية.

في اليوم نفسه، بعد الساعة الثانية ظهرا، جاء إلينا الأخ خطاب (عزت أبو الرب) وكان من كوادرنا في قباطية، فذهبنا للغداء معه في بيته،وفي بيت الأخ خطاب، فوجئنا بمعظم وجهاء عائلات قباطية، ومخاتيرهم، في انتظارنا، رحبوا بالأخ أبو عمار، الذي أطلق على نفسه اسم (أبو محمد)، وقبل الغداء، قاموا جميعهم بمبايعة أبو عمار والحركة، وكل ما له علاقة بنا، وأن يكون في حمايتهم مثلما يحموا أبناءهم. واستطيع أن أقول أن بلدة قباطية أول بلدة دخلت بشكل جماعي في حركة فتح، فقد كنت ترى كل العائلة، نساءً، وأطفالاً، وشباباً، يحجون إلى قواعدنا في الجبال، حاملين معهم ما يملكون من طعام، فكان المعسكر، ممتلئاً بالمجموعات التي تقوم بالتدريب بما يشبه خلية نحل، وقد قسمت إلى

مجموعات، وتم استيعاب، أكاد أقول، كل شباب قباطية في مجموعات التدريب في هذه الجبال.

بعد الغداء، كان علينا الذهاب إلى نابلس، وكنا قد طلبنا من الاخوة، أننا سنذهب وحدنا وبشكل عادي، فذهبت مع الأخ أبو عمار إلى جنين في سرفيس (سيارة تكسي)، مر السائق بنا، ثم عاد إلينا، وكان يعمل على طريق جنين قباطية، فأشرت له، إن كان ذاهباً في اتجاه جنين، فقال :نعم، وعاد بدون أي راكب، فارغاً.

لم أفهم تلك اللحظة، هل اعتبر إشارتي له، أننا نريد تكسي، أو سرفيس، ففي ذلك الوقت كانت الفلوس (على قد الحال)، وغير مسموح لنا، بأي بذخ في الصرف، المهم ركبنا السيارة، أبو عمار جوار السائق، وأنا جلست في الخلف، فأخرجت نصف دينار على اعتبار، إذا كان يريد أجرة تكسي، فاستدار السائق في اتجاهي وقال لي: (له يا خال)، ألستم من الجماعة؟

قلت له: أية جماعة؟

قال: الذين في الجبل.

لم يأخذ الأجرة، كانت البلدة كلها تعرف حركة فتح، وأوصلنا إلى جنين . ذهبنا إلى بيت (الحاجة تودد عبد الهادي)

الحاجة رحمها الله، قالت: يا أخ أبو عمار، أريد أن يكون ارتباطي معكم عن طريق الأخ عبد الحميد، لأنني لن أكون في هذه المنطقة بعد فترة، وبالفعل لعبت هذه الحاجة دوراً كبيراً تلك الفترة في دعم الحركة، وكانت شخصية مرموقة، ولها احترامها ومكانتها بين الناس، خاصة في جنين، ومع محيط الخط الوطني في المنطقة، وكانت تعمل مديرة مدرسة جنين.

وفي جنين التقينا أيضا الأخ محمود الهمشري، الذي أصبح فيما بعد ممثلا لمنظمة لتحرير في فرنسا.

ثمّ انتقلنا الى نابلس . في نابلس كان الأخ تيسير أبو هواش قد عيّن مسؤولاً لمنطقتها، ورئيساً للجنة حركة فتح، على أن يكون معه سبعة أعضاء ليكونوا قيادة منطقة نابلس، واستلم الأخ محمود الهمشري في تلك المرحلة (طولكرم). وفي جنين كان الأخ نصري سعد الله، ثم فيما بعد الأخ أحمد رشيد. اجتمعنا بهم، وجلسنا لعمل آلية لقادة المناطق ولمسؤولي اللجان الحركية في كافة مناطق الوطن، ثم نزلنا إلى البلدة القديمة في نابلس، في بيت سعيد العطعوط، وكان معنا الأخ محمد سمارة (رحمه الله) أو مصطفى سمارة، وكان الوحيد الذي تركته سلطات الاحتلال حراً، بعد أن اعتقلت كل المجموعة التي كان فيها، وكان منهم، نزيه حسين، عبد الله الإفرنجي، زهير مناصرة، وأبو عياش، وكانت هذه المجموعة من كوادرنا قادمة من ألمانيا، وبعد أن تم تدريب بعضهم في الجزائر، عادوا في دورية إلى

الأرض المحتلة، وتم اعتقالهم، وترك منهم مصطفى سمارة خصيصاً، لمراقبة من سيتردد عليه، وكان انتماؤه معروفاً لدى سلطات الاحتلال .

اتصلنا بالأخت عصام عبد الهادي، التي كانت رئيسة لاتحاد المرأة في نابلس، وأيضاً لها وضعها، وتحظى باحترام الكثير من الأهالي، أذكر ذهبنا إلى بيتها في المرة الأولى، أنا والأخ مجاهد، وكانت تحركاتنا هذه، تجري كلها بمعرفة، وإرشاد الأخ أبو عمار، وضمن مفهوم العمل الجماهيري، وفي ذلك الوقت، فرض على مدينة القدس حصارٌ قاسٍ، فطلبنا من الأخت عصام أن يقوم اتحاد المرأة في نابلس بمساعدة أهلنا في القدس، أذكر أن الأخت عصام قالت لنا: أنتم الذين تتحدثون معي، ما الذي يثبت لي من أنتم؟

فقلت لها: معنا هذا الشعار(شعار العاصفة) ، وليس معنا شيء غيره.

كان واضحاً أنها تريد أن تفكر، أو تتأكد، فطلبت منا العودة في اليوم الثاني، وبالفعل عدنا اليوم الثاني، أعطتنا مبلغاً من المال لنقوم بتوصيله إلى القدس بأنفسنا، فرفضنا، وقلنا لها: أننا نستطيع أن نقدم لهم مبلغاً بطريقتنا، ولكننا نريد أن نشعر أهلنا في القدس، بأن أهلنا في نابلس معهم، نريد منك أنت الاتصال بالأطر المنتمية لك، فأنت بالنسبة لنا تمثلين مجتمع مدينة نابلس.

أحسسنا بأنها اطمأنت إلينا، وكانت بداية التعامل معها.

في هذه الفترة كان يوجد في نابلس أحد الذين جندتهم إسرائيل للعمل لديها ويدعى، (أبو علي حبرون)، كان عميلاً وأذنا لسلطات الاحتلال، نحن والحركة الوطنية في نابلس، اتخذنا قراراً بتصفيته، كان يجهر بوقاحة بعمالته، وعلاقته مع الاحتلال، ولم يكن بين أهل المدينة أي خلاف على عمالته، يحمل مسدساً ويدور به علناً في شوارع المدينة، والأخوة في لجنة نابلس تأخروا في اتخاذ قرار لإنهائه.

الأخ أبو عمار، غضب من موقفهم، وقال لهم، لن أدخل نابلس إلا بعد تصفيته، وكلف بنفسه الأخ أبو علي المدني لهذه المهمة. كان أبو علي المدني (رحمه الله) من أنقى شباب الحركة، ودائم الابتسام، ولكنه يمتاز بجرأة، ومقاتل حقيقي. فقال، أنه يريد أن يعرف الرجل، فأخبروه بمكان المقهى الذي يتردد عليه بشكل دائم، فذهب إلى (الوجاق) المكان الذي تعمل فيه القهوة والشاي، وكان عامل (الوجاق) واحداً من شبابنا، وجلس في انتظار حضور (أبو علي حبرون)، ولما جاء أخبره العامل، وأشار عليه، فنهض أبو علي المدني، ووقف قبالته بجرأة، كان عسكرياً محترفاً، وعلى مستوى عال من التدريب، وكان في الكتيبة الفلسطينية التي تشكلت في سوريا، كتيبة ٨١، كان يتقن استخدام السلاح بشكل جيد، وسأله: هل أنت أبو علي حبرون؟

فرد عليه: نعم.

فقال له: أنا أبو علي المدني، وباسم حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح نتهمك بالخيانة العظمى.

وأخرج مسدساً، وقام بإطلاق النار عليه، جاءت رصاصة في رأسه، لكن رغم الإصابة القاتلة، لم يمت أبو علي ذلك الوقت، فقد قام الاحتلال بعلاجه، وإنقاذه، وتمت فيما بعد تصفيته على أيدي مجموعة أخرى من الفدائيين.

ثبّتنا في نابلس لجنة تحضير للعمل المسلح ترأسها الأخ تيسير هوّاش(أبوشريف) مع مجموعة من الإخوة لترتيب الأمور وشراء السلاح وتخزينه .

يتم شراء هذا السلاح، بكل إمكانياتنا البسيطة، وبأية كمية نستطيع الحصول عليها، فكنا نعتبر ان لدينا مخزوناً جيداً في نابلس، بالإضافة إلى أعداد الشباب الذين تم تدريبهم، كان معنا الأخ مجاهد، وفي البداية تم فرزه، ليكون مسؤولاً لمنطقة رام الله، ولكنه عاد إلى نابلس في اليوم الثاني بشكل عاجل فقد كان في رام الله عدد كبير من العناصر التي تعرفه، والتي قام نفسه، بتدريبها، عندما كان آمراً للمعسكر في الهامة، فآثرنا أن يكون في نابلس.

كنت اضطر أحياناً ان أترك الأخ أبو عمار، لعمل ما، وكنت أطلب من الاخوة الموجودين معه، منع أي عنصر، أو رسول، يأتي من الخارج بأن يرى الأخ أبو عمار، وإذا جاء برسالة، فعليهم أن يأخذوا هم الرسالة، أو الخبر، ويقومون بإعطائه للأخ أبو عمار، وهو الذي يقرر بعد ذلك، هل يريد أن يرى القادم؟ أم لا؟

كانت هذه التعليمات حول حماية أبو عمار، تتم في كل المناطق، ممنوع أن يرى أي قادم أبو عمار مباشرة.

بعد ترتيب الأمور بشكل جيد في نابلس، غادرنا إلى رام الله، ثم القدس حيث مكان الإقامة، وكنا نعمل في القدس وفي أكثر من منطقة على الانفتاح على كل القوى الوطنية وبكافة انتماءاتها سواء كانوا حزبيين، أو من فصائل أخرى، فهدفنا واحد وهو مقاومةالاحتلال، وهذا ما يجمعنا.

كان اتصالي مع كمال النمري، مسؤول حركة القوميين العرب ذلك الوقت، فقد كان الدكتور صبحي غوشة منزوياً أو على خلاف مع حركة القوميين، لكن هذا لم يغير نظرة أهل القدس إلى هذا الرجل كانسان وطني، نظيف، مخلص، فكان الذي يمتلك إعطاء التعليمات والقرار هو الأخ كمال النمري، فعقدنا الاتفاق معه، كنّا نحضّر لعصيان مسلح في البلدة القديمة في القدس في اطار الانطلاقة الثانية، وكنا ننتظر قدوم أعداد كبيرة من اخوتنا، من كتيبة القادسية التي كانت متواجدة في العراق، ومعظم ضباطها كانوا من حركة فتح، وكنا نتواصل معهم ونتشاور حول كيفية القيام بالعصيان المسلح في البلدة القديمة؟

وكان الأخ أبو عمار، هو الذي يخطط، ويقوم بالإشراف على الإعداد، وفي تلك الفترة كانت إقامته في القدس، في شقة تعود لأحد أخوالي، إبراهيم وصادق الشنطي، كان وضعهم المالي لا بأس به، فأعطونا شقة تقع عند صيدلية الطزيز، قرب الهلال الأحمر الفلسطيني، وبجوار بيوتهم، كان لهم أكثر من بيت، فأفرغوا لنا هذه الشقة، كي نكون فيها مستقلين ونعمل بحرية، صباحاً يحضرون لنا الإفطار، أو أذهب أنا لإحضاره، خاصة إذا كان لدى الأخ أبو عمار أحد الاخوة في الشقة، وأذكر أن ملكية هذا البيت تعود إلى أبو علي قليبو، ولا يزال موجوداً في القدس حتى الآن.

كان أبو عمار يجتمع مع الكثير من عناصرنا في هذا المكان، وكنا نخرج بدورنا أنا وهو لرؤية بعض الشخصيات، حصلنا أيضاً على مركز، فأحد اخوتنا إسماعيل استنبولي، كان يعمل في شركة للمقاولات (المقاولين العرب)، صاحب هذه الشركة أو مديرها العام الأخ فهمي الحموري (أبو زياد)، كان منتمياً إلى الحزب الشيوعي لكنه يناصرنا، فكنا نستخدم مكتبه للتخزين، والاجتماعات، وتم لقاء بين الأخ أبو عمار وكمال النمري، وأيضاً مع الأخ فيصل الحسيني (رحمه الله) الذي كان حتى ذلك الوقت مع حركة القوميين العرب، وبدأت إسرائيل بعملية الإحصاء للسكان، وأحصي أبو عمار في أحد البيوت للحصول على هوية القدس، وبالمناسبة كان يمتلك أكثر من هوية، ومن أكثر من مصدر، ومهن متعددة، لكن المهنة التي كان يعرف بها أكثر من غيرها، مهنة التدريس، ويرتدي الحطة البيضاء، لم يكن حتى ذلك الوقت قد ارتدى الحطة المرقطة الفلسطينية، وطبعاً مع هذا الزي، كان يتحدث اللهجة المصرية.

طبعاً لأهلنا الفلاحين طريقتهم الخاصة في ارتداء هذه الحطة، وخاصة كبار السن، فكان أبو عمار يرتديها على طريقتهم، ويبدو كفلاح.

قلنا له مرة: أنت تبدو كفلاح ولكنك تتحدث اللهجة المصرية، نريد منك لهجة قريبة لنا.

فقال: ما رأيك في لهجة غزة؟

وعندما بدأ يتكلم اللهجة الغزاوية بطريقته قلنا له، الأفضل أن تعود إلى اللهجة المصرية.

كان دائم التنقل والزيارات تحت اسم أبو محمد، وكان كل الذين يلتقون به، يدركون أنهم أمام رجل مختلف، وصاحب قرار، وشخصية قوية، كان يطرح ما يريد بوضوح، ويتكلم بحقائق، ووثائق كثيرة تقنع الآخرين.

ذهبت معه للقاء الدكتور عبد العزيز الحاج أحمد، الذي تعرفت عليه في سجن الزرقاء العسكري، وكان قد عاد إلى عيادته في رام الله وكان شخصية مهمة، وتركّز حديثنا على الوحدة الوطنية،

وترجمة للوحدة الوطنية تم اتفاق في ذلك الوقت بيننا وبين الاخوة في حركة القوميين العرب على

التنسيق، لينجح العصيان الذي كان سيتم في القدس، فبدون وحدة حقيقية، وقرار واحد، لا يمكن نجاح العصيان.

كان معنا في ذلك الوقت الأخ فايز حمدان (الرائد خالد) رحمه الله، وكان برتبة نقيب بثلاثة نجوم في الجيش الأردني، وتم اعتقاله في الأردن على خلفية، انتمائه لحركة القوميين العرب ثمّ أفرج عنه.

كنا في ذلك الوقت في قمة التحضير للانطلاقة المسلحة الثانية، وفي أكثر من منطقة، وعلينا تحديد الوقت، والتاريخ للانطلاقة، كان الأخ أبو عمار على رأس القيادة التي تشكلت من ثلاثة أشخاص، أبو عمار، أبو جهاد، أبو علي إياد، قيادة قوات العاصفة.

الأخ أبو عمار داخل الأرض المحتلة، وأبو جهاد، وأبو علي إياد في دمشق، كنت أترك الأخ أبو عمار أحياناً، وأذهب عن طريق الجسر إلى دمشق، ولم يكن في الخروج أية مشكلة، لكن في العودة علينا التسلل عبر النهر.

خرجت إلى الشام بمعرفة أبو عمار. كان معي دفتر صغير، بحجم كف اليد، وأعطيت الأخوة تقريراً كاملاً عن الوضع، وأننا نطرح عليهم، بأننا في الداخل، نريد أن يصدر أمر بالتحرك للانطلاقة، فنحن الآن جاهزون، ولدينا حد معقول من التحضير، وفي كافة المناطق، ونريد موافقتكم، أو إصدار قرار لقيادة قوات العاصفة بالتحرك، وأريد منكما توقيعا للأخ أبو عمار على بياض، وفتحت الدفتر الصغير على صفحتين، فوقع الأخ أبو جهاد في منتصف الصفحة، ثم وقع الأخ أبو علي إياد، وتركا مكاناً لتوقيع الأخ أبو عمار، كان الدفتر لا يزال مفتوحاً على الصفحتين، فكتب الأخ أبو علي إياد في أعلى الصفحة إلى الأخ أبو عمار (كن مجنوناً).

على أساس مقولة، أن الثورة يخطط لها العقلاء، ويفجرها المجانين، للأسف الشديد.

المهم، عدت ومعي الدفتر، وسلمت هذه الوثيقة للأخ أبو عمار، فأصبح الآن القرار بيده، فقام بالتوقيع، جوار توقيعي أبو جهاد وأبو علي إياد، وأصبح عليه أن يحدد تاريخ اليوم الذي ستكون فيه الانطلاقة.

في ذلك الوقت، كان سيعقد مؤتمر للقمة، في الخرطوم، للرؤساء العرب، وقد قاموا باستبعاد أحمد الشقيري من حضوره، وهو ممثل فلسطين الرسمي، كان الافتتاح سيتم في يوم أربعاء في ٨/٢٩، الساعة السادسة مساءً. من الطرافة أنه في كثير من الأوقات، لم يكن أمام الأخ أبو عمار من يتحدث معه غيري، خاصة عندما لا يكون في زيارته أي أحد، ونكون وحدنا، فقلت له: ما رأيك أن يكون التاريخ في يوم مؤتمر القمة؟ خاصة وأنهم أبعدونا من الحضور؟

ونحن على الأرض موجودين، طبعاً قبل هذا الوقت، كان الكثير من الأخوة يقومون بعمليات مقاومة فردية، دون تعليمات، وكنا نقول لهم دائماً، حاولوا أن لا تقفزوا فوق التعليمات، ولا تقوموا بالتصدي، حتى لا يتم التشديد علينا، نحن نعد للانطلاقة ، وبدورنا لم نكن نصدر بيانات في هذه العمليات، لأننا لو أصدرنا، فسيعرف العدو أن وراء هذه العمليات جهة، منظمة، وهذا ليس في صالحنا في ذلك الوقت، فكنا نترك هذه العمليات دون إعلان.

وأذكر ان مجموعة من الأخوة، ذهبوا لاستكشاف هدفٍ من الأهداف، من أجل ساعة الصفر، وكانت هذه المجموعات تتحرك دائماً، فقط لاستكشاف الهدف، فوجدت المجموعة أمامها، هدفاً سهلاً، وتحمسوا، وقاموا على مسؤوليتهم بالتنفيذ، غضب الأخ أبو عمار، وطلبهم للمحاكمة، فتحملت أنا المسؤولية، وقلت له: أنني الذي أعطاهم التعليمات، وإذا أصريت على تقديمهم لمحكمة، فسأدخل إلى المحكمة، وأقول أنني أنا الذي أمرت بالتعليمات. كان شباب المجموعة رائعين، ومن خيرة الأخوة في الحركة، وقد استشهد منهم اثنان فيما بعد، وعندما ذهبوا للاستكشاف، وجدوا هدفاً سهلاً، فنفذوا، ونحن علينا الآن التشديد عليهم، وان نتعامل معهم كأبناء لنا، وان لا يتم هذا التجاوز مرة أخرى.

كنا حريصين على الانطلاقة بزخم، وكانت الخطة لدينا، حين تنطلق المجموعات من المناطق فعليها مساعدة بعضها البعض، وعدم السماح للعدو الإسرائيلي بالاستفراد بأية منطقة لوحدها على حساب الأخرى، لذلك سيكون التحرك في كل المناطق، وطلبنا تحديد أهداف من الجميع، إضافة إلى الأهداف التي حددتها القيادة، ثم بعد ذلك قلنا لهم، لكم الحرية في تنفيذ أهداف أخرى، فالأهم أولاً، هدفان تحددهما قيادة قوات العاصفة، ثم لكم حرية التصرف بعد ذلك.

ذهبت مع الأخ أبو عمار إلى غزة، واجتمع مع كل مسؤولي الساحة المتواجدين هناك، وتناولنا الغذاء، وعدنا في نفس اليوم، كان التنقل صعباً، فقد أخذتنا سيارة تذهب كل يوم إلى غزة للتجارة، وكان الأخ السائق يدفع رشاوى كثيرة للإسرائيليين لتسهيل حركته، وهذه الرشاوى التي كان يدفعها، هي التي تسمح لنا بالمرور.

من هنا كان لا بد من ذهاب الأخ أبو عمار إلى غزة، لأنه الوحيد الذي يمتلك حلاً لكل مشكلة، ويمتلك تحديد كلمة السر وجمع المعلومات، وتنظيمياً هو صاحب القرار.

في ٨/٢٥، كان الأخ أبو عمار في نابلس، وأنا استقر عملي في القدس ورام الله، لا أستطيع أن أتحرك من هذه الأماكن دون تعليمات، فكنت إذا استطعت، أمرر المعلومات مع الأخوة إلى المناطق، ولا أغادر إلا ضمن تعليمات، وكنت قد طلبت من الأخ مجاهد، بمحبة وأخوة، أن لا يحضر إلى رام الله، لأسباب أمنية، لأنّه معروف لكثير من الناس هناك.

في ٨/٢٥ فوجئت بمجاهد قادماً إلى رام الله، ذهب إلى أحدالعناوين ليراني، وأبلغت بذلك، وكنت أعرف انضباطه، فلما أخبروني، أحسست بأن ثمة شيئاً غير طبيعي في الأمر، وسألته، فقال، الأخ أبو محمد يقول لك: أن توقف جميع العمليات، وقد غادر نابلس إلى دمشق، جاءه رسول من هناك، وبعدها غادر، المهم مع قلقي الشديد، نقلت قراره وأبلغت مجموعتنا في كل مناطق الضفة الغربية بوقف العمليات، وأرسلت إلى الأخوة في غزة الأخت عبيدة الكاظمي تخبرهم بالتعليمات، فأبلغوها أن المجموعات تحركت إلى أهدافها، وذلك حسب الاتفاق والتعليمات. كان هذا في ٨/٢٥، في ٨/٢٦، أبلغت بتحرك الأهداف في غزة، والآن أصبحت القيادة لي بعد مغادرة الأخ أبو عمار، فأنا المخول الآن بإصدار التعليمات في الضفة الغربية وقطاع غزة معاً، وإذا تحركت غزة وحدها فهذا يعني أن قوات الاحتلال ستنفرد بها، بالتالي علي التخفيف عليهم، وذلك لن يكون إلا بتحرك قوات، أو مجموعات من الضفة الغربية. وهنا سأكون في مخالفة أوامر القيادة، فإما أن أترك قطاع غزة يخوض المعركة وحيداً، وإما مخالفة أمر القيادة الصريح بوقف العمليات، فتركت الضفة، وذهبت إلى دمشق فوراً، وأذكر أنني وصلتها صباح يوم ٨/٢٨ الساعة الخامسة، وعندما رآني أبو عمار قال لي: الله لا يجيبك، تركت فلسطين في أيدي اثنين من المجانين، مجاهد، وأبو علي المدني.

كنا نصنفهم في أعلى مراتب العلم العسكري، أما في غير هذا، كنا نحجمهم دائماً، فهما لا يفكران في غير فوهة البندقية، والآن استلما القرار، فأخبرته بكل تفاصيل الوضع، في غزة، والوضع الحرج الذي نحن فيه الآن، وقلت له: عليك تحمل المسؤولية، الأخوة في غزة تحركوا إلى أهدافهم، وستسمع ذلك في الأخبار، والقيادة لا تعرف وجهتهم حتى توقفهم.

عليك العودة فوراً إلى الأرض المحتلة، وبالفعل، يوم ٨/٢٩، عدنا ليتم الإعلان في نفس الليلة، الساعة السادسة قبل المغرب بنصف ساعة كنا على المخاضة، فمن خلال الرصد الذي كان يتم لدينا، قوات الاحتلال في منطقة الأغوار، تنسحب من الأغوار، وكنا نراهم بالعين المجردة، فتذهب مجموعات شبابنا بعد الغروب، لزرع الكمائن والألغام، ودائماً يتم ذلك بعد نصف ساعة من الغروب، ولدينا الآن ساعة فراغ قبل المغرب بنصف ساعة إلى نصف ساعة بعد الغروب، علينا خلالها أن نقطع الشريط الحدودي، وان نجتاز المنطقة الخطرة المزروعة بالألغام، فوصلنا إلى منطقة سيل الزرقاء على الجانب الأردني، وجلسنا، وكنا هذه المرة ٣٤ شخصاً مجموعة الدورية، وكان يرأسها الأخ أبو عمار. وكان معنا الأخ أبو علي حسن فريتخ، (رحمه الله) كان دليلاً ممتازاً جداً، ومميزاً، وعلى طريقة السائح، كان يحمل المطرة على كتفه، كالعادة كنت أكثرهم حركة، وفي لباس مدني، كنت أرتدي قميصاً وبنطلوناً، فخرجت من المكمن، وذهبت عند أبو علي فريتخ، فقال لي: إن مجاهدا استشهد. أصبت بصعقة المفاجأة، فروي لي، أن الأخ مجاهد جاء إلى بيت مصطفى سمارة، الذي كما أسلفت تركته القوات

المحتلة دون اعتقال، ليكون طعماً سهلاً لمن يتردد عليه، وواضح أن المراقبة كانت دقيقة، فعندما جاء مجاهد تم رصده تماماً، وكان قادماً لأخذ مصطفى سمارة إلى جنين لحضور اجتماع، سيعقد في صالون حلاقة يقع في منتصف البلدة، فتبعتهم، كان في حوزته مسدساً (نصف غولد) ومعه ٣٧ طلقة، تذكرت حواراتنا معاً، عندما كان يقول لي، لو أمتلك كلاشينكوف، ومعي مخازنه، فأنا جاهز وحدي لأتصدى لكتيبة من الجيش الإسرائيلي.

كان مقاتلاً حقيقياً، ولم يكن إنساناً سهلاً، له ثقة مطلقة في قدراته، وإيمانه، وتم حصاره بخمسة رشاشات (٥٠) وقاومهم بالمسدس، وتم اعتقاله، وأخذوه إلى منطقة سنة ١٩٤٨، كما علمت فيما بعد من المحقق، الذي أخبرني بذلك عندما حقق معي، ووصفه، بأنه كان رجلاً، وطبعاً وضعوا القيد في يديه وحمل في سيارة جيب فيها السائق، وجندي واحد للحراسة.. تطلع مجاهد، وحسب الموقف، أنه لو ضرب الحرس بيديه، والرشاش جوار السائق الإسرائيلي، فسيأخذ الرشاش بسرعة، ويسيطر على الموقف، وكما روى لي المحقق، أن السائق كان متيقظاً، وأسرع من مجاهد، فعندما ضرب مجاهد المرافق الذي معه، وقبل أن يصل إلى الرشاش، كان السائق قد تمكن من الرشاش، وأفرغه في جسد مجاهد حتى الموت.

الآن. عندما أخبرني أبو علي فريتخ، باستشهاد مجاهد، قلت له، أن لا يتحدث لأي أخ في الدورية بالأمر، فاحتمال أن يحصل إرباك للشباب وخاصة الذين دربهم مجاهد، كذلك نحن على وشك الدخول إلى الأرض المحتلة، ولا زلنا في بداية الدورية، وخبر كهذا لا بد يكون سلبياً على الأخوة.

ذهبت فقط للأخ أبو عمار، وأعلمته بالأمر، فطلب هو الآخر عدم معرفة الآخرين بالأمر، وعبرنا، وذهبنا في اتجاه نابلس، وقبل أن تصل دوريتنا صباحاً إلى بيارة الشكعة، تم الإعلان عن الهدفين في غزة، وكان أحد هذه الأهداف جسراً يقطع منطقة كاملة داخل الأرض المحتلة.

ولا بد من الإشارة هنا، أن إمكانياتنا في ذلك الوقت كانت بسيطة، وأذكر للأخ أبو عمار إحساسه الإنساني المتميز في أوقات الطعام، واستيعابه عدم كفاية الوجبات، فكان يوفر حصته من الطعام بطريقته الخاصة، ادعاؤه المرض، حتى تكون حصته من نصيب الأخوة، وأشهد على ما رأيته، كم من الليالي نام هذا الرجل جائعاً، فقط ليوفر حصته للآخرين.

في ١٠/٨، قررنا أن نصدر بياناً رسمياً، كان قد أصبح لدى الحركة ١٢٤ عملية، نفذت ولم يعلن عنها، فكان لا بد الآن من بيان للشعب، الأخ أبو علي إياد (رحمه الله)، كان مصراً أن يكون معنا في هذه الفترة، وأن يدخل إلى الأرض المحتلة، لكنه لم يكن قد تعافى تماماً من عملية الهامة، قلت له: يا أخ أبو علي، ان لنفسك عليك حقاً، ووضعك الصحي لا يسمح، ودخول الدورية ليس مثل ركوب سيارة، قال:

أنا أعرف الصعوبة، وإذا لم استطع العبور، فلن أكون عبئاً عليكم، وهذا بالضبط ما كان يخيفنا من أبو علي، فنحن نعرف أنه لحظة يشعر بعدم قدرته على الاستمرار لن يكون عبئاً على أحد، فقمنا بإقناعه بتأجيل الأمر وأننا لا زلنا في البداية، وفي المراحل القادمة، قلت له أعدك أن أكون معك في الدورية، فقال لي: إذن خذ هذا القلم، واكتبوا به البيان الأول لحركة فتح، في مرحلة انطلاقتها الثانية، فأخذت القلم.

وفي يوم ١٠/٨ كان يوم جمعة، تغدينا أنا والأخ أبو عمار في نفس البيت في القدس، وأذكر أن بيت خالي كانوا قد أعدوا يومها سمكاً، وبعد الغداء، قال لي: سنكتب البيان الآن، وبدأ يهم بالكتابة، فقلت له: ليس بقلمك، لو سمحت هذا قلم أبو علي إياد، فمزق الورقة التي كان قد بدأ فيها الكتابة وكتب بقلم أبو علي اياد.

في هذه اللحظة، حملت أنا صينية الطعام، لأعيدها إلى بيت خالي، كان لبيت قليبو الذي نقيم به، أكثر من ميزة، من حيث الموقع، ووجود عدة مداخل تؤدي إليه، من جهات عديدة، فعندما خرجت لفت نظري رجل، لم أره من قبل يرتدي بذلة ويقف في أحد مداخل البيت، أكملت طريقي بطريقة طبيعية إلى بيت خالي، ثمّ عدت، ودرت من جهة أخرى لا يراني منها الرجل، كان هناك بيت لآل الجعبري، وكذلك لهم فرن، فدرت من ناحية الفرن، وكانت علاقتي مع الجيران، حميمة وممتازة، فسألت الأخ الذي في الفرن، وقلت له: أرى في الحارة زبوناً جديداً ؟

قال لي: هذا منهم، أحضرته سيارة بيضاء.كانت مخابرات الاحتلال في ذلك الوقت تستخدم سيارات بيجو ٤٠٤ بيضاء اللون، ومجرد أن يرى الناس هذه السيارة، يعرفون أنهم مخابرات، وأكمل لي الشاب، أن معه أيضاً جهازا.

حملت المعلومات، ودخلت إلى أبو عمار وأبلغته، كان لا يزال يكتب البيان، وقد خلع جاكيته، أو بالأحرى جاكيتي، لأنه يرتدي ملابس مدنية، وكان معنا بنطلون وجاكيت سبور، والبذلة، وفي الصباح كنت أسأله: ماذا سترتدي من الموجود؟

كان قياسنا في ذلك الوقت واحداً، فكان يقول لي، إذا كنت تريد أن ترتدي البذلة، سأرتدي أنا الجاكيت والبنطلون، والعكس، في ذلك اليوم كان يرتدي الجاكيت، فقمت بسحبه لنخرج، وأخذ الجاكيت عن الكرسي، وارتداها، وغادرنا سريعاً، دون أن يرانا أحد، حتى الشاب الذي في الفرن، ابن الجعبري لم يرانا، وكما أسلفت، كان للبيت أكثر من طريق للخروج والدخول إليه، خرجنا من منطقة فيها محل، تصليح (بسكليتات)، وكان معي سيارة (دوج حمراء) لعدنان الجولاني، مركونة عند موقف السيارات ومقدمتها باتجاه الحائط، فلما خرجنا، وأشير هنا الى أنني كنت بالغ الحرص على حماية أبوعمار،وعاهدت نفسي والأخوة في القيادة على ذلك طالما أنا على قيد الحياة، وطالما أنا قادرعلى ذلك،

فكانت مصيبة لو اعتقل أو قتل هذا الرجل، فتحت له باب السيارة الخلفي سريعاً وركب، وبدأت أرجع في السيارة إلى الوراء، لأخرج، فانكشفت السيارة للرجل الذي يراقبنا. سقت السيارة بسرعة لمسافة ٥٠٠ م تقريباً وعند كازية في الشيخ جراح، وأنت خارج من الجسمانية لتدور إلى باب العامود، وتحسباً لأية مفاجأة، ومع شبكة المعومات التي كنت على اتصال بها، أوقفت السيارة، وأنزلت أبو عمار منها، واتصلت تيلفون مع الأخ عدنان الجولاني، قلت له: يا أبو الفهم ما أخبارك؟ كيف صحتك؟

قال لي: الأحمر يخسر.

قلت له: أرسل من يأخذ السيارة، لقد فهمت من جملته، الأحمر يخسر، أننا في خطر، وكان يعرف بالطبع أنني استخدمت السيارة الحمراء.

كنت أمتلك سيارة (فولكس فاجن) بيضاء، لا أحد يعلم بامتلاكي لها، وكانت جيدة وقوية، فقد كان عندنا أحد الأخوة، قد رتبها لي، بحيث لا تستطيع سيارة بحجم كبير أن تكون في صلاحيتها وسرعتها، وكنت قد وضعتها في نفس المنطقة للطوارىء، فذهبت وأحضرت سيارتي، وخرجنا من القدس في سيارة بيضاء إلى رام الله، وقلت لأبو عمار، الآن كل سلطات الاحتلال، تبحث عن سيارة حمراء وتقوم بالتفتيش.

جئت بالأخ أبو عمار إلى شقة في رام الله، في الشارع الموازي لشارع ركب، قرب حلويات الأمراء، كانت الشقة في الطابق الثالث. كانت للأخ نعيم قعدان، (المختار نعيم) الذي استلم فيما بعد مؤسسة أسر الشهداء في عمان، وكانت خالية، والأخ نعيم يقيم في الطابق الثاني من البناية، فوضعت الأخ أبو عمار في الشقة، وأحضرت حبلاً، وكلاليب ، كان في المطبخ شباك يطل على الجهة الأخرى، لشارع آخر، وهناك ساحة تحت الشباك، فكان الحبل هذا ليستخدمه أبو عمار، إذا لا سمح الله آتى من يلقي القبض عليه، من الشارع الرئيسي.

قلت له: لا تتردد في استخدام الحبل، وستكون في منطقة بعيدة عن الشارع، وكذلك يوجد في الشقة طعام، ومؤونة تكفي لمدة ١٤ يوماً.

كانت سلطات الاحتلال تقوم بعمليات تمشيط واسعة بدأتها من الشمال إلى الجنوب ومن منطقة جنين، وقد ورد اسم عبد الحميد، كما أخبرني الأخوة في أكثر من منطقة، فقلت، يا أخ أبو عمار، أصبح الوضع صعباً، وهاهم يصلون إلى رام الله، فمن الضروري أن تختفي، لأنني أنا أيضاً يجب أن أختفي، وطوال وجودك، لا يمكن أن أقوم بالاختفاء، وللأمانة، ونحن نتحاور، بكى أبو عمار، قال لي: عندما كان الوضع لديكم جيد، وكنت في أمن نسبي، وأنا القائد، والآن وأنتم تتعرضون للخطر، تريد مني أن أختفي؟

قلت له: يا أخ أبو عمار، الوضع لا يتحمل، أمن، وكادر، أو مزاودة، أنا الآن أريد أن أختفي، ولن أفعل

ذلك وأنت موجود.

قال: طالما ازداد الخطر عليكم، فلا يمكن أن أقبل طلبك.

قلت له: يوجد حل، القاعدة السرية التي لنا على نهر الأردن، لا يعلمها أحد إطلاقاً، إلا شخص واحد فقط، كنا نستخدمها مستودعاً، وكانت هذه بناءً على طلب أبو عمار، طلب أن يكون لنا مستودع في الأردن للسلاح، وكانت له رؤية في ذلك، قلت له يومها: لماذا يكون لنا مستودع في الأردن، ونحن مطاردين؟

قال لي: معرفش، لكني أخشى أن تتم مساومة على فلسطين، ويحب أن نكون مستقلين.

هذا الكلام في سنة ١٩٦٧، فقمنا بإنشاء هذه القاعدة، التي تدخل الطريق إليها سيارة واحدة معينة وكانت على الجانب الأردني، وأخبرته أن فلاناً فقط يعرف. وبهذا لا يعرف الذين في الخارج أنك خرجت، ولا الذين في الداخل أنك غادرت، فرفض رفضاً قاطعاً، قلت له: طالما هذا رأيك، فسأبقى موجوداً، وسأسجن، ولكني أكرر عليك، أن أهم شيء بالنسبة لي أنت، وما يهمني هو أن تبقى بخير.

وعدت إلى القدس، وتم إلقاء القبض عليّ في نفس تلك الليلة، وبقى أبو عمار في شقة رام الله لمدة ١١ يوماً، مخالفاً التعليمات المتفق عليها.

أنا لا أنكر أنني أمتلك تجربةً أمنيةً جيدة، اكتسبتها من فترة اعتقالي في الأردن، فتزودت بهذه التجربة، فبعد أن أمنت أبو عمار، عدت إلى القدس، وفي الساعة الواحدة ليلاً، جاءت مفرزة من قوات الاحتلال، إلى بيت أخوالي وقاموا باعتقالي من هناك، ونقلوني إلى سجن المسكوبية.

كان يوجد في جيبي صورتان، نسيت أن اتخلص منهما. واحدة لأخ اسمه مصطفى عبد العزيز حجو، والصورة الأخرى للأخ أبو عمار من أجل عمل هويات لهما.

وصلت باب المسكوبية، ولم تفتشني بعد سلطات الاحتلال، وهذا كان حسن حظ، فأخرجت الصورتين وقمت بأكلهما، ولن أنسى بعد كل هذه السنوات أسوأ من ذلك الطعم، لا يمكن تصوره.

أما الأخ أبو عمار، فقد تركته في رام الله، في نفس الشقة، علمت فيما بعد أنه بقى فيها ١١ يوماً، بعدها لم أعرف، فقد استلم الأمر، الأخ أبو فراس (مصطفى عيسى)، وأخوة آخرين تابعوا المهمة، ومعه كان هشام السعودي.